الجمـــهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائري

الحجّاج واستراتجياته في المنام الكبير لركن الدين محمد بن محرز الوهراني دراسة تداولية

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): **صباح بوحديد.**

الطالب (ة): **رحمة نواورية .**

تاريخ المناقشة: **15 / 06 / 2022 .**

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
وردة حلاسي	استاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
اسماء سوسي	استاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أحلام عثامنية	استاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية : 2022/2021 .

مقدمة

أضحى الحِجاجُ مطلبًا أساسيًا في عملية اتصالية تستدعي الفهم والإفهام ، فالمجتمع يتّجه يوما بعد يوم نحو علوم التحريض والدعاية المغرضة والاستفزاز اللامتناهي ، فالحجاج بوصفه إحدى وظائف اللغة التي لم تعد مجرد إخبار أو نقل لوقائع ، بل إنجاز فعل كلامي يشكل حجّة ، تحاول استمالة المتلقي و التأثير فيه .

في ظلِّ هذا الزخم برزت دعوات للبحث في الحجاج ضمن التراث اللغوي عربيًا وغربيًا ، لتصبح منهجية قارة لدراسة النصوص ، إذ إنّ ما يخلد النصوص عبر الزمان والمكان ، تلك اللمحات الفنية والإبداعية الموصولة بالقيمِ الحجاجية المرتبطة بالذوق والجمال والمجاز لتحقيق مقصدية الإبانة والتواصل والإفهام ثم التأثير .

يزخر الأدب العربي بفنون أدبية مختلفة كالقِصَّة والرِّواية والمقَامَة والشِعرِ وغيرها ، وتعد المَنَامَات واحدة من هذه الفنون الأدبيِّة المهمة التي ارتبطت بغايات ومقاصد . وهي نصوص حلّيت بألوانِ البديعِ ، وزُينت بزخارفِ السجعِ ، كما اعتنت عناية فائقةً بنسبها ومُعادلاتها الصّوتية ، فهي خطابٌ مشحونٌ يوازنُ بين إمتاعِ العقلِ وإشباعِ العاطفةِ ، مما جعل هذا الفنَّ غايةً في الأَهميةِ ، وقد اتّخذهَا الأدباءُ وسيلةً لإظهارِ براعتهم ومقدرتهم اللغويةِ والبلاغيةِ .

وما يكشف عن أسرار النَّص لغته ، هذه اللغة التي تبرز قدرة الكاتب المبدع في كيفية تعامله معها ، وقد ركزت الأبحاث اللغوية منذ القدم على أغراضِ اللغةِ ، لأنَّ كلَ متكلمٍ يرمي إلى تحّقيقِ مقصدية معينة في خطابهِ من أجلِ الإقناعِ والتَأثِير على الآخرين ، وجعل المتلقي يذعن لرأيه ويقبل بما يقول ، وبما أنّ اللّغة هي شفرةٌ رمّزية مهيمنة في العملياتِ التواصليةِ تعدّ حجاجًا تفضحهُ البنيةِ اللغويةِ المجردةِ .

أما اختيارنا لمدونة " المنام الكبير للوهراني " ، وجَعلها مجالاً تطبيقيًا ، فيعود بالدرجة الأولى إلى إيماننا بالدور الذي لعبه الوهراني في ابتداعِ فن المنامات ، وجعله جزءًا من التراث الأدبي العربي القديم ، وصار يضاهي المقامة المشرقية ، بل حتى يتفوق عليها من حيث الإبداع .

إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولته بالتحليل إذ نجد :

- " رسائل ابن محرز الوهراني – دراسة في الموضوعات و الأساليب – " أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه للباحثة مريم منّاع ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة .
- " موضوعات السرد في منامات الوهراني – قراءة وصفية – " مقال علمي للباحث محمد صالح، عن المركز الجمعي الونشريسي ، تيسمسيلت .
- " وظائف الوصف في منامات الوهراني " مذكرة لنيل شهادة ماستر لطالبتين : حنان براش ، فوزية درويش ، جامعة محمد الصديق بن يحي ، جيجل .

لكنها لم تأخذ " المنام الكبير" بالدراسة من ناحية الحجاج ، لذلك ارتأينا أن نخوض غمار البحث في هذا المجال من أجل سبر أغوار آليات الحجاج لدى الوهراني ، وكيفية نجاحه في توظيفها ، وذلك وفق منظور حداثي .

حاولت الدراسة الإجابة على الإشكاليات الآتية :

- كيف كانت إستراتجية الوهراني الحجاجية في " المنام الكبير " ؟ و كيف حقق البعد التداولي فيها ؟ و ما الجديد الذي جاء به الوهراني من خلال مدونته ؟

كما استدنا في هذه الدراسة على مصادر و مراجع أهمها :

- المنام الكبير للــوهراني .
- نظريات الحجاج في التقاليــد الغربية من أرسطـو إلى اليوم إشراف حمادي صمود .
- الحجاج في البلاغة المعاصرة لمحمد سالم ، الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة .
- اللغة و الحجــاج لأبو بكر العــزَّاوي .
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمان .
- استراتجيات الخطــاب لعبد الهــادي بن ظافر الشهري .

وللإجابة على هذه الإشكاليات اتكأت الدراسة على المنهج التداولي الذي يعتبر الأنسب لرصد هذه الآليات الحجاجية ، فالمنهج التداولي هو مستوى تصنيف إجرائي في الدراسات اللغوية يتجاوز دراسة المستوى الدلالي ، ويبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها ، مما يبرز أهمية دراسة اللغة عند استعمالها ، وبالتالي فإنه يعنى بدراسة مقاصد المتكلم ، وكيفية تبليغها في مستوى يتجاوز مستوى الدلالة الحرفية .

وعليه اتضحت معالم الدراسة ، فكان تصميمها شاملا لفصلين تتصدرهما مقدمة وتتلوهما خاتمة ، تضمنت المقدّمة عرضًا لأهمية موضوع البحث ، وأسباب اختياره ، والمنهج المتبع فيه أما الفصل الأول المعنون بـ " في مفهوم الحجاج و إستراتجياته " فقد اختص بالجهاز المفاهيمي المتعلق بكل من الحجاج واستراتجياته ، إختص الفصل الثاني الموسوم بـ " آليات الحجاج في المنام الكبير دراسة تداولية "برصد الآليات والاستراتجيات الحجاجية في المنام الكبير للـوهراني من منظور تداولي ، (من ناحية اللغة : الروابط و العوامـل الحجاجية ، التكرار و الأفعال الكلامية ، و من ناحية البلاغة : البيان و البديع) و تبيان أثرها الحجاجي في المتلقي وحمله على الاقتناع بها وأخيرًا جاءت الخاتمة لتذيّل النتائج المتوصل إليها في الدراسة .

و ليس لنا في الختام إلاّ أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى أهل الفضل ، و إلى كل من قدم لنا يد العون و نخص بالذكر الأستاذة المشرفة سوسي أسماء على كل ما قدمته من توجيه سديد ورأي رشيد ، وإلى أعضاء لجنة المناقشة ممن سيتشرف البحث بتقويم ما اعوّج فيه على أيديهم .

الفصل الأول : في مفهوم الحجاج و إستراتجياته

1-مفهوم الحجاج .

2- الحجاج عند الغرب القدامى .

3- الحجاج عند العرب القدامى .

4- الحجاج عند الغرب المحدثين .

5- الحجاج عند العرب المحدثين .

6- مفهوم الإستراتجية الحجاجية .

يدور الدَّرس الحجاجي في فلكٍ التقنياتِ الإجرائِية للُّغة وآلياتِها ، ومدارُ الأمرِ فيهِ استشفَافُ القيمِ والحقائقِ ، والأساليب توظيفًا حجاجيا التي يُستندُ إليها من أجل إقناعِ المتلقِّي ، والتأثير فيه وفي آرائه ، رغبةً في تغييرٍ منطلقاتِه ، وتوجّهَاتهِ . وقد غدَا الدرّس الحجاجي من أكثر المفاهيم تداولاً في العصر الحديث على الرغمٍ من تاريخهِ الضَّاربِ في القدمِ ، وفي مايلي نحاول تتبع المسار التاريخي للحجاج بالإضافةٍ إلى التعريف بالإستراتجيةِ الحجاجّيةِ ، والسُلّمِ الحجاجِّي .

1- مفهموم الحجاج :

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي الإسلامي وغيرها من تداول مصطلح الحجاج أو الاحتجاج أو المحاجة في عدة مجالات ، وفي عدة علوم ، وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي ، التي كثيرا ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر والتأويل ، هكذا نجده مستعملا في علوم شتى نحوا ولغة ، وقراءة ، وحديثا ، وفقها ، وأصولا ، ومنطقا ، وفلسفة ... لذا قد كثرت التعاريف حول مفهوم الحجاج ، ودارت حول عناصر موضوعية ، وبنائية وظيفية شتى [1]. فميدان الحجاج واسع ، فتحت له أبواب البحث و الدراسة لارتباطه بعلوم كثيرة .

1-أ- الحجاج لغـة :

فرق القرآن الكريم بين معنى الحجاج والجدل في الاستخدام حيث أشار إلى ذلك محمّد الطاهر بن عاشور ، الذي قال بشأن حاجَّ في قوله تعالى : { **أَلَمْ تَرَى إِلَى الذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**} (البقرة 258) ومعنى حاجَّ خاصم ، وهو فعل جاء على زنة المفاعله ، ولا يعرف ل(حاجَّ) في الاستعمال فعل مجرَّد دال على وقوع الخصام ، ولا تعرف المادَّة التي اشتق منها (...) مع أنَّ حاجَّ لا يستعمل غالبا إلاَ في معنى المخاصمة (...) وأن الأغلب أنه يفيده الخصام بباطل [2] .

1- ينظر محمد العيد : النص الحجاجي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر، 2002، العدد60، ص 44 .

2 – ابن عاشور ، التحرير و التعبير ، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان د،ط،دت،ج3، ص 31 ، 32 .

يعود مصطلح الحجـاج إلـى مادة "حَ جَ جَ" وبالرجوع إلى معاجـم اللغة العربيـة نجـد ابن منظور (ت 711هـ) فيورد المعاني الآتية :"من أمثال العرب : لجَّ فحجَّ ؛ معناه لجَّ فغلب من لاجَّه بحججه يقال حاججته أحاججُه (حجاجًا) ومحاجة حتى حَجَجْتُه: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... والحجة ؛ البرهان ؛ وقيل الحجة : ما دوفع به الخصم وقال الأزهري : الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محْجَـاجُ أي جَدِل. والتَّحَاجُّ :التخاصم ، وجمـع الحُجَّة : حُجَجُ وحِجَاج ، وحَاجَّهُ مُحَاجّة وحِجَاجًا : نَازَعَهُ الحُجَّة. وحَجَّهُ يَحُجُّه حَجا : غلبه على حُجَّتِهِ . وفي الحَديث : فحَجَّ آدم مُوسى أيْ غَلبهُ بِالحُجَّة "[1].

ويذهب المذهب ذاته صاحب القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (ت 817 هـ) بقولـه: " والمِحْجَاجُ الجدل "[2] .

كما جاء في مختار الصحاح أنَّ : " الحجَّة هي البرهان وحاجَّه فحجَّه من باب رد ، أي غلبهُ بالحجة وفي مثل : لجَ ، فحجَّ فهو رجل محجاج بالكسر أي جدل ، والتحجاج التخاصم ،و المحجَة بفتحتين جادَة الطريق "[3] .

وورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(170هـ) ما نصه : " الحجة وجه الظفر عند الخصومة والفعل حاججته فحجته . واحتججت عليه بكذا . وجمع الحجَّةِ حُجَجُ والحجاجُ هو المصدرُ"[4] .

1 – ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ،ط1 ، 1990 ، مج 2 ، مادة (ح ج ج)، ص228.

2 – الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد العليم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط8، 2005 ، مادة (ح ج ج) ، ص 183 .

3 – الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1976 ، مادة (ح ج ج) ، ص 123/122 .

4 – الخليل الفراهيدي الأزدي (ت 170 هـ) معجم العين ، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ؛ دار الرشيد للنشر ، (د،ط)،(د،ت) مادة (ح ج ج) ص 10/3 .

وجاء في المعجم الوسيط في مادة (ح جَّ) ما نصّه : "حجَّ فُلاَنًا غَلَبَهُ بالحُجَّةِ . يُقَالُ حَاجَّهُ فحَجَّهُ ... حَاجُّهُ مُحَاجَّةً وحجَاجًا:جَادَلَهُ ... احْتَجَ عليه : أقام الحُجَّة ... تَحَاجُّوا ؛ تَجَادَلوا ... الحُجَّةُ : الدليل والبُرهانُ... المِحْجَاجُ الذي يكثر الجَدَلَ "[1] .

وعند الجرجاني نجد معنى :"الحجَّة مادَّل به على صحة الدعوى ، وقيل الحُجَّة والدليل واحد"[2] .

وممّا سبق يتبين أن الأصل اللغوي للحجاج : هو القصد ، والمقصود ، والتحاج الذي يفرض طرفي المنازعة ، والمقارعة بالحجة أي الدليل الذي به تحصل الغاية على الخصم ، بعد استمالة المخاطب ، والتأثير فيه بطريقة نظَّم ورصف الحجج نفسها ، ولذا تختلف درجة التأثير ، والإقناع وفق الطرائق المنتهجة والآليات المتبعة في النجاح .

كما يمكن استخلاص أنّ الحجاج يجمع بين معنيين ؛ أولهما القصد ، وثانيهما الإقناع بواسطة الجدل ويستمد معانيه منهما ، يتشكل سياقه أو شرطه التخاطبي والمتمثل في التخاصم والنـزاع والجدل والغلبة ، كعمليات مأخوذة من معانيها الفكرية والتواصلية[3] .

1– ب – الحجاج اصطلاحـا :

ينبغي أن نشير في البداية إلى أنَ مصطلح الحجاج أعجميَ النشأة انتقل إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة ، ومن الباحثين الذين اهتموا بترجمته ، ونقله إلى اللغة العربية " عبد الله صولة " ؛ حيث ترجم المصطلح الفرنسي (Argumentation) بالحجاج[4] . مفاضلا إياه على مصطلح الاستدلال ، مقدَما حججه ، و براهينه التي تسوّغ هذا الإختيار .

1 – مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط 4 ، 2004، ص 157 .

2 – علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني ، التعريفات ، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر ، ط 3 ، 2004 ، لبنان باب الحاء ، ص 73 .

3 – ينظر حبيب أعربا ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ' ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ' إعداد و تقديم حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ج 3 ، ط 1 ، 2010 ، ص 99 .

4–ينظر عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط2، 2007 ،ص 8 .

والحجـاج يعد ممـارسة لفظية اجتماعيــة عقلية ، تهدف إلى تقديم نقـد معقول حول مقبولية الموقف ، بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرّر الدعوى المعبَّر عنها في الموقف أو تدحضها .

يعـرف بيرلمان (perelman) في كتابه " مصنّف في البلاغة الجديدة " الذي يعـدُّ رائد الحجاجية ، الحجاج بـ: " جملة من الأساليب تضطلع في خطاب بوظيفة ، هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو زيادة في حجم هذا الإقناع "[1] .

يتبين من خلال كلام بيرلمان (perelman) أن الحجاج هو وسيلة أو قناة تربط بين المتكلم ، والجمهور ، ومن خلال هذه العلاقة يعتمد على الاستدلال للوصول لهدفه الأساسي من الحجاج ، وهو إقناع الآخر برأيه.

ويعد الحجاج بذلك عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين ، فهو خطاب ضمني صريح يستهدف الإقناع ، مهما كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك فهو موجه للتأثير على آراءٌ وسلوكيات الآخر ، ومنه فالحجاج يهدف لإثبات أو نقيض قضية ما .

لقد أشار روبير (Robert) في قاموسه إلى أنّ هذا المصطلح يعني في الفرنسية :

- القيام باستعمال المصطلح .
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة .
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيَنة [2].

واختلـف العلمــاء في تحـديد مفهـوم واضح للحجــاج فهـو مفهـوم عائـم يصعب حصـره والإحاطة به ؛ فهو يتميز بكثـرة الحقول المعرفية التي تتناوله : " إذ نجده متواتـرا في الأدبيَــات

1 – سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط2 ، 2011 ، ص21 .

2- ينظر : الحبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص: 03.

الفلسفيَة ، والمنطقيَة والبلاغيَة ، والتقليديَة ، وفي الدّراسات القانونيَة ، والمقاربات اللسانيَة والنفسيَة ، والخطابيَة المعاصرة"[1] .

عرَّف التهانوي الحجَة بأنها : " مرادفة للدليل ، والحجَة الإلزامية هي المركَبة من المقدَمات المسلمة عند الخصم ، المقصودُ منها إلزامُ الخصمِ وإسكاته ، وهي شائعةٌ في الكتبِ . والقول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لا يعبأ به "[2] .

كما جاء في المعجم الفلسفي أنّ : " الحجاج يقـوم على جمع الحجـج لإثبات رأي ، أو إبطالـه ، والمحاجَة طريقة تقديم الحجج و الإفادة منها "[3] .

وعلى هذا الأساس فإن الحجاج : "جنس خاص من الخطاب ، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات ، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه ، و التأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية "[4] .

ونجد جملة المفاهيم الحديثة للحجاج التي عرضها (ريتشارد مالكوم) اتفاقا فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية وسيلة لإقناع الآخرين ، والتأثير فيهم ، ولعلَ أدلَ هذه المفاهيم على ذلك وأحضرها مفهومان :

الأول : طريقة تحليل واستدلال ، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك .

الثاني : عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين[5] .

1 – محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، دار النشر للثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2005 ، ص 06 .

2– محمد علي التهانوي ، كشاف الاصطلاحات و الفنون و العلوم ، تحقيق : رفيق العجم و علي دحروج ،(و ت) ، ج 1 ، ص622 .

3–إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1983 ،ص67 .

4–محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، ص 44.

5–جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 ، ص 105 .

وحدّ الحجاج أنه فعَّالية تداولية جدلية ،فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي وإجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ، ومطالب إخبارية ، وتوجهات ظرفية ،ويهدف إلى الاشتراك جماعيًا في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجّهًا بقدرِ الحاجةِ ، وأيضا جدلي لأنَّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع ، وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة ، وهو أن تطوى في انتقالاته كثير من المقامات ، وكثير من النتائج ، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق ، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم [1].

أما عبد الله صـولة فيرى أن الحجاج علـى ضربين ؛ أحدهما : " أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق ، وبذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال ، وضرب واسع لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية البلاغية التي تستهدف إذعان السامع أو القارئ "[2] .

باستقراء أغلب التعريفات التي مست الحجاج ، يجعلنا نتبيَن أنَّها تصبُ في بوتقة عامة بعّده علاقة تخاطبية أساسًا محورهَا المتكلِمُ ، والمستمِعُ ، ومجراها قضية ما ؛ فالمتكلم أثناء العملية التخاطبية ينقل تصوراته ، ومدركاته الموجودة في واقعه ، ويستند إلى جملة من الحجج ، والبراهين يعضد بها منطقه ، مبتغيًا التأثيرَ في المتلقي ، وتغيّير تصوراته ، وإقناعِه بصحة ما يبسطهُ داحضًا المبسوط إليه ، وهذا ما عبرَ عنّه الباحث طه عبد الرحمن في قوله : " كلٌ منطوق به موّجَه إلى الغير لإفهامهِ دعوى مخصوصة يحقِ له الاعتراض عليها" [3].

يحاول المتكلم في هذا الإطار أن يُفْهِمَ المخاطب معانٍ غير تلك التي نطق بها ، تعويلا على مقدرة المخاطب على استحضار ما هو مشترك بينهما .

1- ينظر ، طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2007 ، ص 65 .

2 – عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم ، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 08 .

3-طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1998 ، ص 226 .

ويتداخل مصطلح الحجاج مع مصطلح آخر هو " الجدل " ، وقد ذهب كثير من العلماء القدامى –وتبعهم بعض العلماء المحدثين– إلى عدم التفريق بينهما فصاحب كتاب" المنهاج في ترتيب الحجاج " يقول في مقدمتـه : "أما بعد فـإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظـرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين ... أزعمت على أن أجمع كتابا في الجدل "[1] .

في حين ذهب عبد الله صولة إلى أنَّ المراوحة بين الجدل والحجاج بعدَّهما مترادفين في الاستعمال " من شأنه أن يضيَّق مجال الحجاج و يغرقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية ... والحال أنَّ الحجاج أوسع من الجدل "[2] . فإذا كان الجدل يمثل القسم الإقناعي من الخطاب ؛ فإنَّ الحجاج هو جوهر الخطابة بعدِّها فنَّ الإقناع ، والأهم من ذلك أن الحجاج لا يقتصر على الاستدلال العقلي بل يتجاوز ذلك ليشمل الحجاج اللَّغوي الخالص الذي ينبع من اللَّغة باعتباره خاصية كامنة فيها فيتشبع به نسيج النَّص[3] .

أما الحجاج الجدلي فهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه "الطوبيقا" ، ومداره مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد ، وتمثَّله في التراث العربي الإسلامي مناظرات علم الكلام ؛ فالحجاج الجدلي فكري خالص ، وعادة ما يكون بين شخصين يحاول كلَّ منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة [4] .

في حين أن الحجاج الخطابي هو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه " الخطابة " ، وهو حجاج موجَه إلى جمهور ذي أوضاع خاصّة في مقامات خاصّة ، والحجاج هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي فقط ؛ بل يتعـدّاه إلى التأثير العاطفـي ، وإلى إثارة المشاعر ، والانفعـالات ، وإرضاء

1 – أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1987 ،ص 7 .

2 – عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، ص 8 .

3 – ينظر : قدور عمران ، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص : 25، 26 .

4– ينظر، المرجع نفسه ، ص 26 .

الجمهور واستمالته ، ولو كان يتطلّب ذلك مغالطته ، وإيهامه بصحّة الواقع . وهذا القسم من الحجاج مجاله توجيه الفعل ، وتثبيت الاعتقاد، أو صنعه ، وهو حجاج موجَّه للجماهير[1] .

ومن خلال ما سبق يمكن أن نحصر مفاهيم الحجاج في ثلاثة اتجاهات ، أولها : تجعله مرادفًا للجدل ، و الثانية : تجعله جامعًا بين الجدلِ والخطابةِ ، وثالثها : وطيد الصلة بما وصلت إليه الدراسات الغربية في هذا المجال ؛أي دراسة الحجاج بما هو مبحث لغوي مستقلّ بذاته ، وفي إطاره تجلبب الحجاج بعباءة النظريات المعرفية الحديثة ؛ إذ أصبح مُعطى لغويًا صرفًا ، وطلَّق الجدل ، والخطابة ، وتمت تبرئته من التهم التي ألصقت به [2].

2- الحجاج عند الغرب القدامى :

يرى بعض الباحثين أن الحجاج الغـربي أرسطي ، وإن صيغ صياغـات حديثة ، وهو بذلك يخالف الحجاج العـربي الذي وجـد الباحث نفسه فيه تعقيـدا ، مـردّه طبيعة اللغـة ، والثقافة العربية حسب رأيه ، إن كان الحجـاج يقـوم على إستمـالة المخاطب (أو المحجـاج في صيغـة اسم المفعول) وتوجيهـه وجهة ما .

ويـؤرخ بعض الباحثين للدراسات الحجاجيـة بالرجـوع إلى بيرلمـان (perelman) وتيتيكاه(Tyteca) حيث تطلق كلمة (Argumentation) على العلم وموضوعه ومؤدَّاها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات[3] .

1 – ينظر : قدور عمران ، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، ص 26 .

2- ينظر: محسن بن عامر ، البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه الباب الثالث أنموذجا ، مجلة كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ، ع 10 ،11 ، 2015 ، ص 288 .

3- ينظر : صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص ،دار صفحات للدراسات و النشر ، دمشق، ط 01 ، 2008 ،ص 47 .

2-أ- الحجاج عند السفسطائيين :

يعتبر السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة إجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية ، والبلاغة وبالخبرة الجدلية ، ويتجلى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم ، والخبير بكل فنّ وأسلوب [1] .

لعب وجودهم دورًا كبيرًا في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة ، والحياة الفكرية اليونانية عامة . فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي " توليدي " للأفكار ، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية و الإقناعية من ناحية ، و أدّى إلى تراكم معرفي كبير شكَّل النواةَ لمعظم الدراسات القديمة ، والحديثة للفلسفة اليونانية من ناحية ثانية ؛ سواء في ذلك الدراسات التي دخلت معهم – أي السفسطائيين – في حوار مباشر أم تلك التي ناقشت فرضياتهم في فترة متأخرة ، وقد نبغت شهرتهم البلاغية الخطابية من أنهم : ".. كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة " ، و في القول ومآتيه ، ونازلهم أبو الفلسفة الغربية ، أي أفلاطون ، و أرسطو ، فكان بين هذين وأولائك نوعان من الحجاج : " حجاج بحجاج في مسائل فلسفية مختلفة ، وحجاج فيما ينبغي أن يكون به الحجاج ؛ خطابان متقابلان ناشران لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة ، و القيم الحاضنة للإجتماع الإنساني " [2] .لكن صراع أفلاطون معهم ؛ وتباين فرضياته مع فرضياتهم ، ألصق بالسفسطائيين صفة قدحية خطيرة علقت به حتى وقت قريب من عصرنا الحديث ، حيث صار اسمهم مرادفًا للنقاش الفارغ وغير المجدي .

لكن مع تقدم الدرس اللغوي المعاصر ، واحتلال المدرسة الظاهرية لمواقع متقدمة في النظرية النقدية الراهنة ، بدأ الاعتبار يعود شيئا فشيئا إلى الآراء السفسطائية لما فيها من قيم لغوية ، وبلاغية ، ووجودية ، وإنسانية ومعرفية .

1- ينظر،محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر- ، دارالكتاب الجديدة المتحدة ليبيا 2008 ، ص 24 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 24 .

اهتمَّ السفسطائيون إلى حدٍّ كبيرٍ ببلاغةِ القولِ ومتعلقاتها ، حتى أنَّهم اتخذوها حرفةً يُلقّنونها أبناء الأعيان ...و إن للقول عندهم قوته ، و جبروته ، وفعله[1] .

ويرتكز نقد أفلاطون للسفسطائيين في اعتباره إياهم أدعياء على العلم والمعرفة ، وأن ما يقدمونه لا يعدو كـونه نتائـج ظنيـة مبعثها الهـوى واللذة ، وهـي أمـور ، ومفاهيم ضـارّة بالقيم ، والأخلاق واليقين ، والإيمان .

2–ب– الحجاج عند أفلاطون :

جاء أفلاطون ليقدّم تصـورا فلسفيا عقلانيا مجردا ، ولكنه تصوّر مثالي أعطى الأسبقية للفكر والعقل ، بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي ، وغير حقيقي ، و لأفلاطون نسق فلسفي متكامل يضم تصوراتٍ متماسكة حول الوجود ، والمعرفة ، والقيم .

اشتهرَ بمعادلتهِ القويةِ للبلاغةِ القائمةِ على الرأي ، والآراء–حسب أفلاطون – غالبا ما تحيل إلى وقائع مزعومة تنتج غالبًا من الأهـواءِ و المصالحِ و الظروفِ ، وكل شخص يرى الواقع كما يشتهيه ، ويدعو واقعًا ما يناسب أحواله الذاتية [2] .

وأقام أفلاطون بلاغته على أساس مناهضة فكر السفسطائيين ، ويبدو أ نَّ عوامل رفض أفلاطون للبلاغة عديدة منها كون البلاغة اليونانية بلاغة حشود ، وهذه الحشود تمثل العنصر الأساسي في مقام الإغراء الذي تقيمه البلاغة ، بالإضافة إلى الشكل الخارجي للبلاغة ، أو الخطابة لا يسمح نهائيًا بإنتاج المعرفة ؛ حيث إنّه لا ينتج إلاّ الاعتقاد[3] .

إن مساقات تأثيث الحجاج الأفلاطوني ، هو الجدل الذي حصل بينه وبين السفسطائيين ؛وهو الجدل الذي اتضحت منه معالم فلسفته .وقد رأى أن محاورته لهم تعدّ إلى حدٍ ما عمليّة كشفِ

1 – ينظر،محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 25 .

2– ينظر: محمد الولي ، مدخل إلى الحجاج ...أفلاطون و أرسطو وشاييم بيرمان ، مجلة عالم الفكر ، مج 40، ع2 ،2011 ، ص21.

3 – المرجع نفسه ، ص 23 .

للقناع ، ورفع للستار عن أغاليطهم ، ومزاعمهم ، وتلاعبهم بالألفاظ ، ومعظم النقد الذي وجهه إليهم كان يدور حول الحجاج ، ومقصده في ضوء قيمتي الخير والشرّ[1] .

إنّ محاورات أفلاطون مع السفسطائيين هي البوتقة التي حوت فكره الحجاجي ؛ ففي محاورته مع " جورجياس " بحث موضوع الخطابة ووظيفتها ، وبحث في شرعية قيام هذا القول ، وفحص موضوع الخطابة في مقابلته (علم/ظن) وذكر أن الإقناع نوعان : الأوّل يعتمد العلم ، والثاني يعتمد الظنَّ ، والإقنـاع الثـاني في رأيه هـو مدار وحـي الخطابة السفسطائية ، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة ، وثابتة ، والإقناع من هذه الوجهة يكون مفيدا يكسب الإنسان المعرفة ، في حين نجد أنَ الظنَّ يقوم على الممكن والمحتمل ، وهو لا يكسب معرفة ؛ بل ينشئ اعتقادا[2] .

وذكر أنَّ هناك ممارسات تخاتل الإنسان و تخدعه ، فهذه الممارسات جمعها تحت اسم جامع هو " التملق" ، وهذه الكلمة تفيد اللذةُ والخداع ، وفي رأيه فالخطابة السفسطائية هي " قول يتناول الظاهر لا الحقيقة ويقصد تحقيق اللذة لا الخير " [3] .

كما كان لقضية التأثير الشكلي للخطاب في المتلقين نصيب من النقد في الفكر الحجاجي الأفلاطوني ؛ حيث إنّ السفسطائيين أعطوا للشكل قيمة كبيرة في الحجاج ، لكن أفلاطون على العكس من ذلك رأى أن المبالغة في تحسين العبارة تخلخل علاقة اللغة بالفكر في الخطاب ، ومنـه فالجمال عنده ينبني على أساس نشدان الحقيقة ، والفضيلة ، وتلازم اللغة والفكر[4] .

ممّا سبق نستنتج أن أفلاطون يعتمد معياري الحقّ والخير أساسًا لكل حجاج ، أو بلاغة ينتفع بها الفرد ، أو المجتمع على حد سواء ، وبهذا يتضح أن أفلاطون اهتم فقط بالحجاج الأخلاقي ، وهـو

1 – ينظر : حامد ناصر الظالمي و عايده حنون ، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة، ع 73 ، 2015، ص 06 .
2 –ينظر : هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص 63.
3 – المرجع نفسه ، ص 64 .
4– ينظر : محمد سالم الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 28 .

حجاج يتسم بالمثالية . لذلك فالخطابة التي ينبغي أن يضعها الفيلسوف في الحسبان –حسب أفلاطون– هي تلك التي تنضوي تحت مظلة الحقيقة .

و نخلص إلى القول إنّ الفلسفة الأفلاطونية فلسفة مثالية ، مفارقة لعالم المادة ، والحس و تعدّ عالم المثل هو الأصل ، بينما العالم المادي الحسي ، هو عالم مخادع زائف ، ومشوّهٍ ، فمنهج أفلاطون إذن منهج ديني مثالي يحارب الظنَّ ، والمراوغة ، والتزييف ، وتحقيق المآرب غير الشرعية بسلطة القول ، ومنه فهو منهج غير سياسي ؛ نظرًا لما تبيحه السياسة من وسائل عديدة وملتوية من أجل تحقيق مآربها[1] .

2–ج– الحجاج عند أرسطو :

يعد أرسطو عالما موسوعيا ؛ حيث كانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة ؛ إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقيا ، والنفس ، وعلم السياسة ، والفن ، والشعر ، وفن الخطابة ؛ وهو واضع المنطق الصوري الذي كان له أثر كبير على كثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده . كما بحث في الجدل وما يتصل به من أقوال حجاجية قبل أن يبحث في البيان ، وخصائصه البلاغية عامّة والعلمية خاصة ، كما يعدُ كتابه " الإقناع "أهمّ كتاب في الإقناع و أدواته ؛ إذ درس فيه الجدل وعلاقته بالخطابة [2].

وتعتبر البلاغة الأرسطية أساسًا فلسفيًا معرفيًا لأغلبية النظريات البلاغية ، واللغوية التي جاءت بعدها بشكل عام ، ولنظرية الحجاج بصفة خاصّة فقد دخلت هذه البلاغة في نقاش جدلي قوي مع كل من البلاغتين الأفلاطونية (الأستاذ) ، والسفسطائية (الخصوم) ، وعلى الرغم من أن الأرسطية اتخذت لنفسها مسارًا تحليليًا جديدًا إلاَّ أنها احتفظت من كلتا البلاغتين ببعض المكونات البنائية وخاصة من بلاغة الأستاذ أفلاطون[3] .

1 – ينظر : عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، مسكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس ،ط 1 ، 2011 ،ص 29 .

2 – ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، ص 21 .

3–ينظر:.محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ،ص23 .

توصّل أرسطو نتيجة وعيه الفكري إلى أنَّ الخطاب البلاغي الجدلي منفتح على الميادين المعرفية الأخرى ، ويستفيد من الحقول المجاورة ، وفي حين أنَّ الفكر الأفلاطوني كان يعدّ هذا الضرب من البلاغة فاسدًا ؛ ذلك أن أفلاطون اهتمّ في خطاباته التي جعلها صناعة أساسها الحجاج ، في حين نجد أرسطو في انتقاده للسفسطائيين يركز على إنتاج الحجاج عندهم ، وما يتعلق به من آليات ؛ حيث يؤكد أن العالم الحقيق هو العالم الواقعي المادي ، أمَّا العالم المثالي فغير موجود والحقيقة لا توجد إلا في العالم الذي نعيش فيه [1].

إن الحجاج وفق المنطق الأرسطي يصب في رافدين : حجاج جدلي ، وحجاج خطابي ؛ فالأول يقوم على المناقشة النظرية الصرفة التي تهدف إلى الإقناع العقلي المجرد ، أما الحجاج الخطابي فهو حجاج مؤسس على ظروف معينة وسياقات خاصة قصد إثارة مشاعر ، وانفعالات جمهور معين[2] .

" فالناس يلجؤون للخطابة و الجدل بدرجات متفاوتة ، و كل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجَّة من الحجج أو يدعمها " [3] .

وقـد ميز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج " الإيتوس ، الباتوس ، اللَّوغوس " في علاقتها بالأركـان الثلاثة للفعل الخطابي : الخطيب ، المستمع ، الخطاب .

أ–الإيتوس "Ethos " الباث/الخطيب " : يصف الخصائـص المتعلقـة بشخصيَّـة الخطيـب والصورة التي يقدمها عن نفسه [4]؛أي إنَّ الخطيب ينبغي أن يكون موضوع قبول عاطفي لدى المتلقي لحظة بثّ الخطاب وتلقّيه .

1 – ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ص 32,33 .

2 – ينظر : حمدي منصور جودي ، بنية الخطاب الإقناعي في كليلة و دمنة لابن المقفع ، أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب و اللغات ، جامعة بسكرة ، 2015، ص 10 .

3 – أرسطو طاليس ، الخطابة ، تر:إبراهيم سلامة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1953 ،ص 75 .

4 – ينظر : محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، دار الناشر للثقافة ، الدار البيضاء ، ط 1 ،2005 ، ص 18 .

ب–الباتوس" Pathos " المتلقي/المستمع" : ويشكل مجموعة من الانفعالات التي يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين[1] . ويمثل هذا البعد أطرف ، وأخطر مستوى في كلّ بلاغة ؛ إذ إنَّ الغاية في النهاية هي التأثير في هذا الطرف ، وفي الواقع فإنّ كافة المقومات الأخرى لا قيمة لها إن لم تجد الصدى المناسب ، والمطلوب لدى المتلقي . وتحدَّث أرسطو عن مجموعة من الصفات الطبيعية العاطفية للناس أو ما يميلون إليه ، وينبغي أن يكون الخطيب على علم بها حتى يستطيع التحكم في انفعالات المتلقي ؛ مما يمكنه من قيادته إلى الجانب الذي يريده ؛ بل يساعدنا على الإحاطة بالوسائل التي تعيننا في عملية الإقناع[2] .

ج–اللّوغوس " Logos " الرسالة /الخطبة :" هو الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي ، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي »[3] . وهو ثلاثة أنواع " القياس ، و المظمر ، والمقـارنة ، أو الشاهد والتفخيم " ، وقد سمَّى أرسطو المضمر قياسا خطابيا ، وسمَّى الشاهد استقراء خطابيا ، وكل الناس يعملون على إثبات ما ، إما بالشاهد وإما بالمضمر ، ولا يوجد غيرهما من أجل بلوغ هذه الغاية" [4].

وممّا سبق نستنتج أن الحجاج الأرسطي قام على رفض أطروحة أستاذه أفلاطـون المبالغة في المثالية ؛ حيث دعا إلى بلاغة يكون الحجاج عمادها ، ونظر إلى الحجاج نظرة تكاملية شمولية تفاعلية مع مختلف حقول المعرفة الإنسانية في ذلك العصر .

3– الحجـاج عند العرب القدامـى:

لقد عانى الدرس الحجاجي في الفكر الغربي ركودا تاريخيا دام مدة طويلة بلغت خمسة عشر قرنا منذ عهد "كونتيليان " و "شيشرون " الرومانيان (منذ حوالي القرن الثاني الميلادي وإلى حدود عصر

[1] - محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، ص 18

2 – محمد الولي ، مدخل إلى الحجاج ...أفلاطون و أرسطو و شاييم بيرلمان ، ص 29 .

3 – محمد طروس ؛ النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية ، ص 18 .

[4] – محمد الوالي ، مدخل إلى الحجاج ... أفلاطون و أرسطو و شاييم بيرلمان ، ص 30.

النهضة) ، فكان اهتمـام الـدارسين خـلال هذه الفتـرة منصرفا إلى البحث فـي الجـوانب البلاغيـة و الأسلوبية . غير أن هذا الخفوت في الدرس الحجاجي في الفكر الغربي ، قابله ازدهار في الفكر العربي و الإسلامي الذي احتضن هذا الدرس في سياق انفتاح الثقافة العربية الإسلامية بدءًا من القرن الثامن و التاسع على الثقافة اليونانية . وإذ كان الدرس الحجاجي الغربي قد نشأ من المنازعات حول ملكية الأراضي الزراعية و بني على أسس ديمقراطية ، فإنَ الحجاج العربي منشأه الشعر العربي ، كما تحقق أيضا في المنافرات القبلية والخطابة العربية قبل الإسلام [1] .

وما من شك في أن إستراتجية الإقناع عن طريق الحجاج بعد البعثة النبوية واضحة في القرآن الكريم وأقوال النبي صلى الله عليه و سلم [2] ، ثم تنامت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتجية ، وتبلورت في كثير من العلوم ، كعلم الكلام ، والفقه ، والأصول ؛ بل إنّ الدرس الحجاجي سيُتوّجُ بقيامِ علمٍ خاص يدرّس الفعّالية الحجاجية ، والحوارية سمُيَ بعلم المناظرة وآداب البحث الذي عُدَّ نظرية عربية أصيلة في الحجاج [3].

3-أ- الحجاج عند الجاحظ (ت 255 هـ):

كان الجاحظ رجل محاجّة ومناظَرة ، ومتكلمًا ، و عارفًا بتصاريفِ الكلامِ ، معتزليًا مُلِمًا باللغةِ والنحو ، والأديان ، والثقافات ، وعـاش فترة خصبة في التاريخ الإسلامي ، نضجت فيها العلـوم والمذاهب ، والاتجاهات ، وأضفى عليه مذهبا ، وبعدا جدليا آخر [4] ، انخرط في نحلة تعـدّ اللغـة والبلاغة سلاح المناظرين ، والمجادلين ، الذين يتوخّون نصرة مذهبهم ، والإقناع به ؛ لذلك ربط

1- ينظر : حامد الظالمي و عايدة جدوع حنون ، نشأة الحجاج . ص : 11/10.

2-عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ، ط 1 ، 2004 ،ص 447 .

3- ينظر : طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 231 .

4-عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ،علم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2012 ، ص 45 .

البـلاغة بأهـداف إقنـاعية محـدّدا للكلام أدوارًا في الخصومـة ، ومنـازعة الرجـال ، و مناضلة الخصوم ، ومحاججة أرباب النحل ، ومقارعة الأبطال [1] .

نحا الجاحظ طريقا عبقريا ، وسلك مسلكًا خصبًا في فنّ القول ، فهو مؤسس الخطابة العربية ومحكم خصائصها ، وقد سعى إلى وضع أسس البيان العربي[2] .

كما يعد الجاحظ واحدا من أولئك الذين دعموا وأثّرُوا البلاغة العربية بصفةٍ عامة والدراسة الحجاجية بصفةٍ خاصة ، ذلك لأنَّه " تناول ما يجب أن يكون عليه الخطيب ناجحا ، و ذلك بسلامة الخطيب من العيوب النطقية "[3] .

على الرغم من أنَ الجاحظ لم يتفرّد بكتب تتحدَّث عن أساليبهِ بالوصفِ ، والتصنيفِ ، والتفسير ، فإنَ الإشارات القليلة التي بثَها القدامى في ثنايا كتبهم في وصف خصائص نثره أو الحكم عليه يمكن عدَها –إذا وضعناها في سياق قراءة معاصرة – إسهاما في تشكيل البلاغة المعاصرة [4] .

تتجلى جذور الحجاج عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف ، واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية (يذهب الجاحظ إلى أن وجوه البيان ترتد إلى ثلاث وظائف أساسية هي :

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة الحياد ، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).
- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة ، وجلب القلوب .
- الوظيفة الحجاجية (حالة خصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار[5].

1- ينظر: عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2013 ، ص 61 .

2-ينظر عبد الجليل العشراوي ، الحجج في الخطابة النبوية ،علم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1، 2012 ، ص 45 .

3- عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، قراءة في نتاج ابن باديس الأدبي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2003 ، ص30.

4- ينظر : علي محمد علي سليمان ،كتابه الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج ، رسائله أنموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 2010 ، ص53 .

5- ينظر محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، افريقيا الشرق ، المغرب 1999 ، ص 112 .

لقد حاول وضع نظرية للبيان ، وجعلها شـاملة لكافة أصناف الخطاب اللغوي ، ومـا يعتريه من إشارة ، ورمزية ، وأنساق لفظية ، وغير لفظية ، قوامها مراعاة أحوال المتخاطبين ومقامهم ، لأن أول البلاغة في نظره " هو اجتماع آلتها " [1]. فمدار الأمر والغايـة التي ينتهي إليها هو الفهـم والإفهـام .

والبيان عند الجاحظ "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر ، والغاية التي يجري إليها القائل ، والسامع ، إنما هو الفهم و الإفهـام ، فبأي شيء بلغـت الإفهـام وأوضحـت عن المعـنى ، فذلك هـو البيان في ذلك الموضع "[2] . فالبيان مرتبط بالإبانة عن المعاني الخفية ،ذلك أن كل دلالة واضحة المعنى ، والمقصد سميت بيانا ، مادام الغاية من كل ذلك تحقيق الفهم و الإفهام .

يلخص حمادي صمود حجاجية الجاحظ في قوله : " فالقول الخطبي عنده يكون للخصومة ، والمنازعة ، ومناضلة الخصوم ، والاحتجاج على أرباب النحل ، ومقارعة الأبطال ، ومحاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الإخوان ، والخطيب مطلوب منه الإفصاح بالحجة ، والبصر بها ، والمعرفة بمواضيع الفرصة ، وأن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبقهم بها . والغاية من ذلك أن تكون الأعنـاق إليه أميل ، والنفوس إليه أسـرع ، والعقول عنه أفهم ، والعلـــو عن الخصم "[3] .

يشير الجاحظ إلى آليات البيان ووسائله قائِلاً : " أنَّ البيانَ يحتاجُ إلى تمييزٍ ، وسياسةٍ وإلى ترتيبٍ ورياضةٍ ، وإلى تمامِ الآلةِ ، وإحكامِ الصيغةِ ، وإلى سهولةِ المخرجِ ، و مهارةِ النُطقِ ، و حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجة إلى الجزالة ، والفخامة ، وأنَّ ذلك من أكبر ما تستميل القلوب "[4] و من هنا يتبين أن آراء الجاحظ في البيان تنطبق على الآليات والوسائل الحجاجية في التداولية الحديثة ، فهو

1- الجاحظ ، البيان و التبيين ،تح و شرح عبد السلام محمد هارون،الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ،ج 1 ، 1998 ، ص 88 .

2- ينظر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1، ص 76 .

3 – حمادي صمود : مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، من كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ص 22

4 – محمد حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي .ص 31.

يقدم الآليات والوسائل التي من شأنها أن تساهم في البيان ، والإفهام الذي يستلزم الخبرة ، والحذف ، و ضرورة الاستشهاد للحجج ، وترتيبها ترتيبًا مناسبًا مع حسن صياغة الألفاظ وتخيّر قولها ، وكل هذا كفيل بتحقيق الإقناع ، وهذا ما يخصُّ العناصرَ الحجاجيةَ الآن ، والتي تهدِف إلى استمالةِ القلُوبِ وإقناعِ السامعين والتأثير عليهم .

3-ب- الحجاج عند السكاكي (ت626 هـ) :

اهتم السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " بالبلاغة وعلومها ، فهو مفتاح لعلم سماه علم الأدب جمع فيه حصيلة أنواع من العلوم الأدبية ، وهي علم النحو ، والصرف ، و علمي المعاني ، و البيان و كذا المنطق ، يقول : "وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ، ما رأيته لابد ، وهي عدَة أنواع متآخذة ، فأودعته علم الصرف بتمامه ، و أوردته علم النحو بتمامه ، وتمامه بعلمي المعاني ، و البيان "[1] و يؤكد هنا " السكاكي " على أهمية تآلف هذه العلوم فيما بينها لتحقيق البيان ، و دورها الكبير في جعل الخطابِ بينًا ، ناجعًا و مؤثرًا .

ارتبط البيان عند السكاكي بما يحققه من منفعة تتمثل في الاحتراز من الوقوع في الخطأ ، و موضوع علم البيان عنده الصيغ التي لا تقف عند دلالتها الوضعية، بل تتجاوزها إلى دلالات عقلية ، إشارة إلى الملازمات بين المعاني [2] ، و يصر السكاكي على تقاطع البلاغة (أساس علمي البيان ، و المعاني) ، مع النحو من جهة ، والمنطق (الحد والاستدلال) من جهة أخرى . واهتم بمقامات الإبلاغ ودورها في العملية الإقناعية ، يقول :" لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة . التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام الجدل في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار ،جميع ذلك معلوم لكل لبيبٍ ، وكذا مقامُ الكلامِ مع الذكي يغايرُ مقام

1- السكاكي مفتاح العلوم ، تحقيق زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 2، 1987 ، ص 6.

2-ينظر عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، ص : 55 .

الكلامِ مع الغبي ، ولكلٍ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر "[1] فالقصدية ، والمقام ، وحال المتكلم أسس ثابتة في فلسفة السكاكي البلاغية ، ويتحدّد الخطاب بناءًا عليها حتى يتحقَّق الإقناع والتأثير.

يعرف " السكاكي " البيان بقوله : " هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه " [2] ، فالبيان حسب " السكاكي " ضرب من الاستدلال ، وأنه على المتكلم احتراز الوقوع في الخطأ عند الانتقال بالدلالات ، وهذا محاولة لإظهار دور الاستدلال ، والمنطق في تحقيق المقصد الخطابي مثله مثل النحو ، فقد جمع بين علم النحو ، والمنطق ، لأنَّ بلاغته تعتبر منطقة تقاطع النحو (علم المعاني) والمنطق وعلم البيان .

فبلاغة السكاكي بلاغة عامة تراعى فيها جميع المستويات التي تدخل في تشكيل الخطاب ، والاستدلال من المفاهيم المهمة ، والمتعلقة بالدرس الحجاجي وحقيقة الاستدلال لديه أن يستلزم شيء شيء آخر إما بالنفي أو الإثبات ويظهر هذا في حديثه عن الدلالة بقوله : "... وإنّ دلالة الالتزام أهّــم الدلالات وأقربها للحجاج ، بالنظر إلى القياس ومقارنته بصفة الأفعال فيها من اللازم إلى الملزوم " [3] هنا يظهر أن البيان وسيلة للاستدلال ، وأنَّ الأساليب البيانية من مجاز واستعارة وكناية كلها تعتبر وسائل ذات وظائف حجاجية يستدَّل بها في الخطاب دليل ، وحجَّة يستعملها المتخاطبون .

وممّا تم طرحه نخلص إلى أنَّ " السكاكي " بنظرته المنطقية الاستدلالية أراد الوصول إلى أنَّ الأساليب البيانية والأساليب الاستدلالية تنتهجان المنهج نفسه وتلتقيان في نهاية التحليل عند آلية اللزوم ، وأنَّ الهدف والمقصد واحد وهو الإقناع و التأثير .

1- السكاكي مفتاح العلوم ، ص 330.

2 - المرجع نفسه ، ص: 6 .

3 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 40.

3-ج- الحجـاج عند علماء أصول الكلام :

تناول علماء الأصول الحجاج بتناولهم للخطاب الشرعي وهو عندهم : " إمَّا خطاب الله ، وإمَّا خطاب الرسول – صلى الله عليه و سلم – ، وإمَّا خطاب الأمة ، واهتموا بمقاصد الشريعة ، وهي مقاصد الخطاب وربطوا الأحكام بمقاصدها "[1] ، ويظهر أنَّ هدف الأصوليين هو معرفة مقصد وغاية كل خطاب ، خاصة الخطاب القرآنيّ واستنباط أحكامه واعتباره أكثر خطاب يحوي طبيعة وصفة حجاجية ، فجلّ آياته حجج ، وبراهين تؤكد على وحدانية الله تعالى ، وتدعو إلى الإيمانِ بعقيدتهِ . وعمدَ علماءُ الكلامِ أيضا إلى إثباتِ التَنزيهِ القرآني من كلّ الأكاذيبِ ، والمغالطاتِ ودفاعهم عنه والرد على الخصومِ ، وقد ظَهرَ الحجَاجُ عندهم من إقناعِ الخصومِ بالحججِ ، والبراهين العقلية وإبطال دعواهم .

ورد الحجاج في كثير من مؤلفات كلّ من الأصوليين والكلاميين ، ومن بين هذه المؤلفات نجد " ابن وهب " الذي قد ربط الحجاج بالجدل ، والمجادلة في كتابه " البرهان في وجوه البيان "بقوله : " وأمَّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون " [2] . ومن كـلام " ابن وهب " يظهر أن الحجاج عنده مرادف للجدل ، الـذي هو تقديم ، وإقامة حجج ، وبـراهين من طرف المتخاطبين ، ويعمل كـل طرف بـإقناع خصمه لأجـل الأخذ برأيـه أو معتقده .

أما " أبو الوليد الباجي " فيعدّ الحجاج من أرفع العلوم ، وقد عرَّفه في كتابه " المنهاج في ترتيب الحجاج " بقوله :"الحجاج هو السبيل إلى معرفة الاستدلال ، وتمَيُّز الحق من المحال ،ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت محجَّة ، ولا اتضَّحت محجَّة ، ولا علم صحيح من سقيم ... " [3] . يظهر من تعريف " الباجي " بأنَّه لولا الجدل لما قامت الحجة ولا عُرف حقّ من باطل ، والملاحظ أنه هو أيضا جعلَ الحجاج مرادفًا للجدل .

1 – خلود العموش ، الخطاب القرآني ، دراسة في العلاقة بين النص و السياق ، عالم الكتب الحديث ، جدار للكتاب العالمي ، الأردن ، 2008 ، ص 113 .
2 – أبو الحسن اسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تح : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، 1930 ، ص 176 .
3 – الوليد أبو الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي لبنان ، ط 3 ، 2001 ،ص8 .

4- الحجـــاج عند الغرب المحدثين :

مرَّ الحجاج بفترة عصيبة تلطَّخ فيها بالسلبية ووصم بالنبذ ، وتم اتهامه بالمغالطة ، ومجافاة الحقائق ، وتصوير الباطل في صورة الحق ، والعكس صحيح . ولكن في العصر الحديث فتح له باب المجد على مصرعيه ، وأعاد له اعتباره ؛ حيث تمت إعادة بثَّ ، وإحياء الدرس الحجاجي ، والإقناعي عن طريق تأسيس نظريات جديدة قامت بعضها على أنقاض الفكر الحجاجي القديم ، واستفادت بعضها من الأطروحات التي قدَّمتها .

ينبثق الدرس الحجاجي الحديث من رافدين أساسيين ، الأول : تمثَّله النزعة التداوليّة في اللَّغوبات المعاصرة ، والثاني : تمثَّله أعمال الخطابة الجديدة من خلال رائديها "بيرلمان perelman " و " تيكيتاه Tyteca " ؛ إذ أنّ الحجاجيات اللّسانية مثَّلت تجاوزا لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارهما ، لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه ، يروم الوصول إلى نضج نظري ، يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ، ليلحقه بالممارسة العلمية التي نادت بها اللسانيات [1].

4-أ- الحجـاج عند بيرلمان (perelman) و تيتيكاه (Tyteca):

عرفت الخطابة انكماشًا و انحسارًا وحربًا ضروسًا شنّهَا عليهَا أحدُ أكبر العقولِ في القرن السادس عشر ، وهو الفيلسوف الفرنسي الشهير رونييه ديكارت الذي هدَّمَ ركنًا مهمًا برفضهِ الاحتجاج انطلاقًا من مقدِّماتٍ مُعرفةٍ ومشهُورةٍ ومحتملة .

" لقد تأسست البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة منذ 1958م مع رجل القانون التشيكي " شاييم بيرلمان" (Chaim perelman) واللسانية البلجيكية " لوسي أولبريخت تيتيكاه"

1 - ينظر ، رشيد الراضي ، الحجاجيات اللسانية و المنهجية و البنوية ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه و مجالاته ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2010، ص 2 /79 .

(Lucie Olbrechts-Tyteca) اللّذين أصدرا كتابهما (مصنَّف في الحجاج-البلاغة الجـــديدة) " [1] .

أعاد بيرمان وتيتيكاه الإعتبار إلى البلاغة حينما وضعاها في إطار الحجاج وجعلا منها أداة لتفسير كثير من الظواهر الفلسفية والقانونية وتحليلها ؛ فقد تنبَّه المؤلفان إلى ضرورة الخروج من مأزق المنطق الصوري ، والعقلانية الديكارتيه ، والتي سيطرت على الفكر الغربي ردحا من الزمن [2] .

حاول الباحثان إعادة صياغة مفهوم الحجاج ، على عكس المفهوم الذي كان شائعًا عند أرسطو ، فبعدما ظلَّ حجاجه مرتبطا بالخطابة والجدل ، وصرامة المنطق ، ربط الباحثان الحجاج بالحوار ، وحريَّة العقل ؛ لذلك فالحجاج عندهما معقوليَّة وحريَّة ، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ، ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر ، بعيدا عن الاعتباطية ، و اللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة ، وبعيدا عن الإلزام ، والاضطرار اللذان يطبعان الجدل . ومعنى ذلك أنَّ الحجاج عكس العنف بكل مظاهره [3] .

يعرّف المؤلفان موضوعَ الحجاجِ بقولهمَا : " موضوعُ نظريةِ الحجاجِ هو درسُ تقنياتِ الخطابِ التي من شأنها أن تُؤدي بالأذهانِ إلى التسليمِ بما يعرض عليها من أطروحات ، أو تزيد من حجم درجة ذلك التسليم " [4] ، فالخطاب عندهم خطاب واعٍ يرتكز على منتج الخطاب أساسا ، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه للآليات الحجاجيَّة المختلفة ؛ إذ إنّه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسّد في الباث ، والمتلقي وفقَ تقنيات معيَّنة يحاول بوساطتها كلّ منهما إقناع الآخر ، وإفحامه بحجج منطقيّة ، وعقلانيّة .

1 – ينظر : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي ، بنيته و أساليبه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 2 , 2011 ، ص 19 .

2 – أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي الشريف –دراسة تداولية –دار المتوسطية للنشر.تونس، 2016 ، ص78 .

3– ينظر عبد الله صولة ؛ الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال " مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة" لبيرمان و تيتيكاه ،ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،المطبعة الرسمية للجمهرية التونسية ، ص 298 .

4 – عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، ص 08 .

تكمن أهمية النظرية عند بيرلمان وتيتيكاه في استعراض الحجج المتناقضة والمتعارضة ذهنيا ، واستجلاء منطلقاتها المنطقية والاستدلالية لمعرفة طابعها الاقناعي ؛ أي اختيار الحجج المقنعة والمناسبة في موقف معيَّن ، وقد حاول بيرلمان قراءة مجموعة من النصوص المختلفة في الحقل السياسي ، والاجتماعي ، والفلسفي ، والقضائي ، بحثًا عن الإقناعي والحجاجي ، وآليات الحجاج ، وتمظهرات الخطاب الحجاجي ، والبحث عن مختلف الوسائل الحجاجيَّة التي تتضمنها النصوص المختلفة في علاقتها ببنياتها الخطابية . ومن أهم أفكار بيرمان أنَّه يعدّ الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير ، وفي هذا السياق يقول بيرلمان : " نقصد بالحجاج المؤثر ، ذلك المتوجه إلى مستمع خـاص ، وبالإقناعي المصـوَّب نحو كـائن عاقـل ، فالفـرق دقيـق ورهين بمفهـوم العقل أساسا " [1]. فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعٍ يرتكزُ في أساسه على منتجِي الخطاب ، وعلى مدى قدرتِهِ على بناءِ نصٍ حجاجِي من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة ، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباثِ والمتلقي وفقَ تقنيات معينة يحاول بوساطتها كلُ منهما إقناع الآخر ، وإفحامهِ بحججٍ منطقيةٍ عقلانيةٍ .

4-ب-الحجاج عند انسكومبر (C.Anscombre-j) و ديكرو (O.Ducrot):

نظريـة الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تجعل الحجاج منتسبا إلى البلاغة الأرسطية الكلاسكية ، أو البلاغة الحديثة ، أو منتميا إلى المنطق الطبيعي [2].

تهدف نظرية الحجاج التي وضعها كل من " أنسكومبر " و " ديكرو " إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ، فهما يريان أنَّ الحجاج يكمن في اللّغة دون سواها ؛ ولذلك فإنّ مدار اهتمام النظرية التي حبكاها هو الوسائل اللغوّية ، وإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم ، وذلك

1 - ينظر ، جميل الحمداوي ، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة (www.alukah.net)، ص 28 .

2- ينظر :أبو بكر العزاوي ، الحجاج و المعنى الحجاجي ، ضمن كتاب التحاجج طبيعته و مجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط، ط1، 2006 ، ص 55 .

قصد توجيه خطابه في اتجاه ما ، كي تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ، وهي تنطلق من فكرة أساسية مفادها أننا " نتكلم عادة بقصد التأثير" [1] .

اعتمد ديكرو في نظريته على مبادئ أهمها[2] :

1- " الـــوظيفة الأساسية للغة هـي الحجـــاج .

2- المكون الحجاجي أساسي و المكون الإخباري ثانوي .

3- عـــدم الفصل بين الدلاليات و التـــداوليات ".

ودعوة "ديكرو " وزميله إلى عدم الفصل بين الدلاليات ، والتداوليات ساهم في ولادة نظرية جديدة هي التداولية المدمجة والتي تعتبر أنَّ التداولية جزء مدمج في الدلالة ، إذ لا يمكن إيجاد دلالة خارج إطار اللغة ، وبذلك كان " مجال البحث عندهما هـو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ، و يكون موضوع البحث هو بيان الدلالـــة التداولية لا الخبرية المسجلة في بنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها " [3] .

كما ذهب أحد الباحثين إلى القـول إنَّ جذور نظرية الحجاج اللّغوي التي اشتهر بها " أنسكومير وديكرو " تعود إلى نظريّة الأفعال اللغويّة التي أسسها أوستن و سيرول ، وقـام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص ، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما : فعل الاقتضاء وفعل الحجاج [4]. وعليه قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكلم (التلفظ) ، أو الإنجاز بأنّه : " فعل موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعية قـانونية ؛ أي مجموعة الحقوق والواجبات ، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطًا معينـًا من النتـائج باعتبـاره الاتّجاه الـوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار ،

1 – أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 14 .

2- ينظر ، سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 55، 56 .

3 – شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، تونس ص 351.

4 – ينظر , أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 16/15 .

والقيمة الحجاجية لقولِ فهي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه و استمراره "[1] .

ومن أهـم المفاهيم التي جاء بها الباحثان في نظريتهما نجد مفهـوم السلالم الحجاجية ، وأيضا الـروابط الحجاجيـة " باعتبارها أدوات تسهم في تحديد العلاقـة التخـاطبية بين المتكلمين من جهة وبين أطـراف النص من جهة أخرى ، بالإضافـة إلى ذلك إهتمت التداولية بالسلالم الحجاجية داخل المنطوقات "[2].

5- الحجـاج عند العـرب المحدثين :

إن المتتبع للدراسات العربية الحديثة والمعاصرة في مجال الحجاج يسجل عناية كبيرة به ، ويمكن القول إن موضوع الحجاج في الدراسات العربية الحديثة قد أصبح علما قائما بذاته ، فهناك كثير من المفكرين العرب أسهموا بشكل كبير في بناء نظرة جديدة للدرس الحجاجي ، وسنحاول عرض أهم ما قدمه بعض المفكرين لهذا الدرس الحجاجي .

5-أ- الحجـاج عند طه عبد الرحمن :

يعد طه عبد الرحمن من الدارسين الذين اهتموا بالحجاج اللغوي من منطلق فلسفي جدلي ، وحدَّد مفهومه لطبيعة الحجاج ، وآلياته ، وقدمهما في مصنفين :" في أصول الحوار ، وتجديد علم الكلام " و " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي " ؛ حيث حاول من خلالها إيجاد رابط منطقي لغوي طوَّعه في سبك نظرية حجاجية تجمع بين قوَّة المنطق ، وسلامة اللغة ؛ لذلك تميزت نظرته للحجاج بطابع فلسفي .

1 - أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 16 .

2 - ينظر: رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي و آليات اشتغاله ، مجلة عالم الفكر ، ص 87 .

يعرّف الحجاج بأنَّه : "كلّ منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[1] ؛ فالحجاج يتعدى المعرفة المبسطة فيما نطق به المتكلم ، لتتعلق بما يقتضيه المنطوق ؛ أي ماهو متضمن فيه .

ينطلق طه عبد الرحمن من حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي ورأى بضرورة هـذه الحقيقة الحجاجية لا البرهنة الصناعية ، فهو يقول : " وحدُ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي ، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ،إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعيًا في إنشاء معرفة عملية ، إنشاءً موجهًا بقدر الحاجةِ ، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورًا استدلاليةً أوسعَ ، وأغنىَ من البنياتِ البرهانيةِ الضيقةِ "[2] . وعلى هذا قد يكون غير كاف إذا كان الاستدلال يحمل الصفة البرهانية لتحقيق الإقناع الذي يهدف إليه الحجاج .

ونظرا لقيمة الجدل ، والحوار في الخطاب الفلسفي ، فقد سلك أفلاطون طريق المحاورة في عرض آرائه الفلسفية ، وعليه فهو جدلي تحاوري أكثر منه برهـاني ، وهذا ما أشـار إليه طه عبد الرحمن في قوله : " لما كانت الفلسفة خطابا طبيعيا ، فلا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صورية لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي ، ولا هي هديَّة إلى سبيل التوجيه إلى العمل ، والحقَّ أن الفلسفة الواعية بأصولها الطبيعية والتداولية لا تبغي إلاَّ مسالك الحجاج بديلا "[3] .

كما جعل في كتابه " اللسان و الميزان " بابًا سمَّاه " الخطاب و الحجاج " ؛ إذ يرى أنَّ : "في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية والحجاجية ، بناء على أنَّه لا كلام بغير خطاب ، ولا خطاب بغير حجاج ، ولا حجاج بغير مجاز " [4] .

1 – طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226 .

2 – طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي .المغرب .ط3، 2007، ص 65 .

3 – المرجع نفسه ، ص 65 .

4 – طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص : 137 .

ويذهب إلى القول إنَّ للحجة وجهين تختص بهما دون الدليل وهما :

أ–إفـادة الرجوع أو القصد : ذلك أن الحجةَّ مشتقة من الفعل "حجَّ"، والذي من معنا "الرجوع " ؛ فتكون الحجة بهذا المعنى أمرا نرجعُ إليهِ أو نقصده ، ولا نرجع إليه إلا لحاجتنا إلى العمل به ، فالحجة بهذا المعنى هي الدليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل به .

ب–إفادة الغلبة : ذلك أن الفعل "حجَّ " يدل أيصا على معنى " الغلبة " ، فيكون مدلوله إلزام الغير بالحجة ، فيصير بذلك مغلوبا ؛ وتبين من هذا أن الحجة ترد في سياق الجدل والمناظرة [1].

تحدث طـه عبد الرحمن عن نماذج التواصل ، وأنـواع الحجاج ، ومراتب الحجاج ، وركَّز على دراسـة السلَّم الحجاجي ، والاستعارة بعدها من أقدر الأساليب التعبيرية في إمداد الخطاب بقوة التفرَّع و التكوثر .

5–ب– الحجاج عند حمادي صمود :

يعتبر حمادي صمود من أهم الدارسين العرب المعاصرين ، الذين أسهموا بشكل كبير في بناء الدرس الحجاجي ، حيث قام باستثمار النظريات الغربية وترجمتها ، ويظهر ذلك من خلال كتابه " **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم** " . إذ جمع عددا من النظريات الغربية على التوالي : الحجاج عند أرسطو ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة " لبرمان و تيتيكا ونظرية الحجاج في اللغة لوصف أعمال ديكرو ، ونظرية المساءلة عند مايير والأساليب المغالطية في الحجاج[2] .

تنقسم أعمال "حمادي صمود " إلى مرحلتين ، مرحلة القراءة النقدية ومرحلة الإهتمام بالحجاج ، فالمرحلة الأولى تمثلت في قراءته للمدَّونة العربية البلاغية ، مركزا على أعمال الجاحظ الذي يعد أول

1 – طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 137.

2 – ينظر حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 3 .

من درس بلاغة البيان بالاعتماد على الحجاج ، والجدل المنطقي ، والقضايا التي عالجها في كتابه التفكير البلاغي حتى القرن السادس تتلخص : " في مسألة المفاهيم التي تتمثل في ثنائية الحقيقة والمجاز ، البلاغة والفصاحة ، والمنهج الذي يعنى بالأسس ، والطرائق في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية ، للوقوف على صعيد الشكل و المضمون "[1] .

"فحمادي صمود " من خلال قراءته للموروث البلاغي انصبّ اهتمامه حول المفاهيم ، والأساليب البلاغية كالحقيقة ، وتوظيف المجاز ، والتركيز على الفصاحة ، ثم تطرّق إلى الطرائق ، والأسس الواجب إتّباعها في تحليل الخطاب من استخراج السّمات ، والخصائص البلاغية للخطاب حتّى تتحدّد بلاغة النص من بعديه الداخلي ، والخارجي ، أمَّا في المرحلة الثانية فقد اهتمَّ فيها بالحجاج الذي بدأ انطلاقا من إشرافه على البحث في البلاغة ، والحجاج في التقاليد الغربية ، واهتمّ صمود ببلاغة الحجاج كونها أهم مسائل الدرس البلاغي الحديث ، ولأنّها تعمل على فهم الخطاب البلاغي ، والحجاج في نظره "علاقة بين طرفين ، أو عدَّة أطراف تتأسس على اللّغة ، والخطاب يحاول كلا الطرفين أن يؤثر على الطرف الآخر " [2] . فالحجاج يستلزم وجود طرفين ، أو أكثر مع توفر لغة ، وخطاب ، بحيث يسعى كل طرفين التأثير في الآخر عن طريق استخدام حجج وبراهين .

كما يرى أن الحجاجي هو الذي يعتمد على الأساليب البلاغية ، والبيانية الـتي تُظهر المعنى بطريقة أجلى ، وأوقع في النفس [3] .و أشار إلى التطورات الحاصلة في عصرنا الحـالي من ثروة اتصال ، ومعلوماتية هائلة تعتمد الحجاج للتأثير في المتلقـي ، باستخدام مختلف الأساليب البلاغية ، ويقول في هذا الصدد " دخل العصر في بلاغة الإشهار ، وعودة الخطاب ، ورجوع وظيفة الإقناع ، والتأثير بشكل لم تعرفـه من قبل "[4] .

1 – عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 71 ، 72 .

2– المرجع نفسه ،ص 72 .

3 – ينظر : صابر حباشه ، التداولية و الحجاج ، مدخل و نصوص، دار صفحات للدراسات و النشر،ط 1 ، 2008 ،ص 09 .

4 – محمد سالم محمد الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 280 .

مما سبق نخلص أن الحجاج و البلاغة المعاصرة عند " صمود" يتعدّى دراسة التأثير ، والتأثر ، ويتجاوز بذلك النص ، والخطاب ، وما يَطرأُ عليهما من تغيير ، وعلاقة كلّ منهُما بالواقعِ ، والمخاطب بالإضافة إلى العلاقةِ التي تربطهُما بالثروةِ التقنية التواصليةِ .

6- مفهـوم الإستراتجية الحجاجية :

يسعى المحجاج من خلال خطابه إلى التعبير عن مقاصد معينة ، وتحقيق غايات محددة مستغلا مجموعة من الإمكانات اللغوية وغير اللغوية التي تنتظم وفق معطيات السياق المحيط بين طرفي الخطاب ،وهو ما يكفل للمتكلم بناء خطة متبعة أثناء التخاطب تعرف بإستراتجية الخطاب .

6-أ- مفهوم الاستراتجية :

مصطلح "الاستراتجية " هو من المصطلحات اللسانية الحديثة التي لا تزال تحمل غموضها في دلالتها . فمن جهة قد يعود هذا الغموض لكثرة استعماله في ميادين معرفية مختلفة ، أو يعود لشيوع استعماله بلفظة الدَّخيل من جهة أخرى .

والاستراتجية مصطلح ينتمي إلى المجال العسكري وهي " علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصِّراعِ ... من أجل تحقيق هدف السياسة "[1] . فالإستراتجية تتعلق بإعداد الخطط ذات الأهمية ، وهي تستعمل في العادة مع قسيمه المكمل " تكتيك " ، وهي تعني تفاصيل تلك الخطط الجزئية .

يعرف الفيلسوف ميشال فوكو (Michel Faucault) الاستراتجية بمايلي :

" تستعمل كلمة استراتجية عادة بثلاثة معان :

1-الهيثم الأيوبي و آخرون : الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، الجزء الأول ، 1981 ، ص 66 .

أولا : للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة ، والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما .

ثانيا : للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة ، تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين ، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو ، باختصار ؛الطريقة التي تحاول بها التأثير على الغير .

أخيرا : للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما ، لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام "[1] .

يختلف مفهوم الاستراتجية باختلاف المجالات والعلوم التي يستعمل فيها ، ففي اللسانيات التداولية قد تعرف " بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار ، واتخاذ القرار- الجارية في العادة عن وعِي – التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية "[2] .والملاحظ أن هذا التعريف يركز على العملية التواصلية في اللّغة . فالاستراتجية وفق هذا التصور تجمع بين المهمات الاتصالية المستنبطة من التفاعل ، والشروط الاجتماعية ، وأهداف شركاء الاتصال ، وبين الوسائل اللغوية [3].

فالاستراتجيات تعود إلى الأهداف المستقبيلة المتوخاة من الخطاب ، والتي ترتبط بدورها بالأنساق المعرفية ، واستحضار الآراء الذاتية ، والوعي بالشروط السياقية . وانطلاقًا من كلّ هذا نجد أنّ المتكلم يتّبع هدفين رئيسين ؛ الأول مرتبط بعرض النص بالاختيار المناسب له ، وترتيب أفكاره ، وإعداد

1-أوبيير دريفوس و بول رلبينوف ميشال فوكو(مسيرة فلسفة) ، تر جورج أبي صالح ، مراجعة و شروح مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ص 200 .

2 – فولفجالج هانيه و ديتر فنهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النص ، تر فالح بن شيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العبية السعودية ، 1999،ص 314.

3- المرجع نفسه ص 314 .

الوسائل اللغوية المناسبة . والثاني مرتبط بصنع النص بتطبيق المفهوم الاستراتيجي بحيث تجعل المتلقي يتقبل الخطاب بسرعة ، وبمراعاة ما يناسب قدرة تقبله العقلية[1] .

يوفر المنهج التداولي إمكانية دراسة مختلف استراتجيات الخطاب في الاستعمال في سياقاته المختلفة . إذ يعتمد المتكلم في خطابه استراتيجيات معينة لتحقيق أهدافه ، من خلال أدوات ، وآليات تجسدها كفاءة المتكلم التداولية .

و مفهوم الاستراتجية الخطابية من أهم المفاهيم التي ينبغي أن تتوسع في دراستها نظرية الحجاج ، كما دعا إلى ذلك أبو بكر العزاوي .وقد قسم عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتجيات الخطاب وفق ثلاثة معايير عامة : المعيار الأول و هو المعيار الاجتماعي ، أو العلاقة التخاطبية بين أطراف الخطاب وتمثله استراتجيتان ؛ الاستراتجية التضامنية ، والإستراتجية التوجيهية . وأما المعيار الثاني فهو المعيار اللغوي ، وتمثله الاستراتجية التلميحية . وأما المعيار الثالث هو معيار الهدف من الخطاب ، وتمثله الاستراتجية الإقناعية ، إذ يعدّ الهدف الإقناعي من أهم تلك الأهداف ، وتعدّ آلية الحجاج التي تعتمد اللغة الطبيعية من أهم طرقه[2] .

والمتكلم ليس ملزمًا بإستراتجية واحدة في الخطاب الواحد ، بل يمكنه أن يتوخى استراتيجيات مختلفة . كما أن الاستراتجيات تختلف من متكلم إلى آخر ، وفقا لمهارة المتكلم وكفاءته التداولية . والوقوف على آليات استراتيجياته مما يوفره المنهج التداولي .

ما يبرر اختيار استراتجية أو استراتجيات معينة من كل تلك الاستراتجيات في كل خطاب إلى جانب اختلاف السياقات ؛ هـدف الخطاب ، وقصديته . هذه القصدية عبر عنها طه عبد الرحمن بـ "العاقلية" ، والتي تمثل أحد أصلي التخاطب . وهي شديدة الصلة باللغة لا تنفك عنها ، بل جعلها أحد أهم خصائص النموذج الإيصالي للحجة . وذهب أبعد من ذلك في البرهنة على ما

1- فولفجالج هانيه و ديتر فنهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النص الخطاب ، ص 314.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتجيات ، ص 249 /545 .

ذهب إليه عندما قال : " ولا عجب إذ ذلك أن نجد اللفظ العربي "حجّ" يفيد لغة "قصد" فتكون كل حّجة (بضم الحاء) بمثابة حَجة (بفتح الحاء) أي تكون قصدا"[1]. والحجاج في معنى من معانيه ؛ بحث من أجل ترجيح خيار من خيار من بين خيارات متاحة ومتعددة بما يناسب السياق ويحقق المأمول .

وإذا كان المنظرون يؤكدون على أن اختيار استراتجية معينة يتوقف على عاملين رئيسين هما : العلاقة السابقة ، والسلطة . ويعتقدون كذلك أن بينهما تناسبًا عكسيًا و أن التضامن والسلطة يرتبطان بعلاقة متضادة ، حيث ما وجد أحدهما ينتفي الآخر [2].

تحتل الاستراتجية التضامنية في الحجاج مكانة خاصة لفاعليتها ، وأكد ضرورتها طه عبد الرحمان وعلل هذه الضرورة ضمن حديثه عن العلاقة التخاطبية ،حينما أشار إلى مسألة (الإنسانية) التي ينبغي لها أن تتحقق في الخطاب الحجاجي من مبدأ التخلق . وينتقل المتكلم من تحقيق مـرتبة (التبادل)،والـذي يحققـه مبدأ (التأدب) إلـى تحقيق مرتبة (التفاعل) عن طـرق مبدأ (التخلق) . يقول طه عبد الرحمان :" ولما ثبت أن التخلق يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض والغَناء (بفتح الغين) عن الأعواض ، فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق مزيد الإنسانية للمتكلم ، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات ، بحيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به ، ولا يحصل للمخاطب هذا الأنس المطلوب حتى يشعر بأن المتكلم قد تخلص في أقواله ، وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره ، علما بأنه لاشيء أقصر نفعا من الأغراض والأعواض "[3] .

يجعل الخطاب الحجاجي عمومًا من المتكلم و المتلقي في درجة واحدة ، فتجعل المتلقي في مقام حوار يمكن أن يتلقى الخطاب ، ويفكر ، ويرد ، ويناقش ، فالحقيقة من صنعهما معا .فالمتكلم

1- طه عبد الرحمن : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ط 2 ، 2000،ص 154 .

2- ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتجيات الخطاب ، ص 256 .

3- طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان ، ص 223، 224 .

عندما " يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه ، ولا تدرج على منهج القمع . وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرًا إلى الإقناع برأي المحاور ، وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع ، فتكون –إذ ذالك – أقـدر على التأثير في اعتقاد المتلقي ، وتوجيه سلوكه ، لما يهبها هذا الامتناع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب ، كأنه يراها رأي العين "[1] .

6–ب– الاستراتيجيات الحجاجية :

إن الحديث عن بنية الحجاج ، وأدواته ، وغاياته يقود إلى الحديث عن الإستراتجية الحجاجية التي تقوم عليها خطة المحَاجِج لإنقاذِ رأيه ، وإقناع خصمه به ، أو من يحاوره في المحاورات العادية ، وبالنظر إلى الخطابات التي توصف بأنها حجاجية لغلبة الحوار فيها أنها تقوم على ست ركائز هي : المقدمات التي تتضمن تقرير المعطيات ، والدعوى ، والتعديلات التي يقدمها المحاجج بين يدي دعواه ، والدعامة ، ومؤشر الحال ، والاحتياطات ، كما يظهر أن الدعوى بوصفها نتيجة مذكورة في الحجاج تهدف إلى استمالة المحاججين فقد يصرِّحُ بها ، وقد ترد ضمنيًا في القول ، أما المقدمات فهي القضايا المنطقية الممهِّدة للنتيجة والمرتبطة بها منطقيا بواسطة التبرير الذي يكون مبدأ عاما يبرهن على صلاحية العلاقة بين الطرفين ، فيما تتلخص وظيفة الدِّعامة في جملة الحجج المقدمة من الطرفين لنصرة موقفيهما ، أما مؤشر الحال فهو تعبيرات تمكن للدعوى من التحقق واقعيا مثل : من الممكن على أرجح ، من المحتمل ، يتوقع ..إلخ بالإضافة إلى التحفظات التي تبين الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية الدعوى [2].

وعلى هذا يقوم الحجاج على خط قولي ، تمثلـه إستراتجيـة إقناعيـة ، وأهـداف معرفيـة ونفسيـة واجتماعية يسعى الترابط الحجاجي إلى إنقاذها في واقـع المحاججين ، والإستراتجية الحجاجية بهذا

1 – طه عبد الرحمن : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 65 .

2 – ينظر محمد العيد: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته ، ج 4 ص 5 .

التصور طريقة ، وأداة ، وغايـة يستجمع بها المحاجج عناصر التأثيـر المحدِّدِة لتوجيـه الموقف والفعـل والرؤية لدى المحاججين في وضعيات تواصلية معينة تسمح بشرح الفكرة ، وتدعيمها في أنظار المتلقين[1] .

فالإستراتجية خطة حاضرة ، مضمرة عن الأنظار في الآن نفسه ، تستكشف بعمل التأويل ، بل إن الخطاب ليس شيئا آخر غير الإستراتجية التي تكون عالم تفسيراته المشروعة[2] .

تقوم الإستراتجية الحجاجية من خلال تفاعل خطتين قوليتين ، تعتمد إحداهما على توسيع دوائر الإدراك العقلي ، الرمزي ، التخييلي الذي لا يكشف بالعقل ، ومسلماته المنطقية ، وإنما يتحسس بالقلب والوجدان ، وثانيهما وهي سبب لحصول الأولى تتمثل في تحريـر العلامـة من مرجعها ، وفك الارتباط الإلزامي بين الدال ومدلوله ليسبح في فضاء الدلالات الإشارية اللامتوقعة[3] .

حتى يحقق الحجاج أهدافه الإقناعية ، والتأثيرية يشترط أن يكون المحاجج محيطا بالجوانب النفسية والإجتماعية ، والثقافية ، واللغوية المتصلة بالمحاججين ، حيث تقوم بينها علاقة مؤسسة على الإحترام المتبادل بخاصة في السياق الخطابي المكتوب الذي بغيب فيه المحاور الحقيقي ، ليتحول إلى محاور افتراضي مؤسس الحجاج ، ومن أهم التقنيات التي يقوم عليها المحجاج لفهم الإطار الحجاجي التوقعي للمحاجج ، الدخول معه في حوار جاد يهدف إلى تبيان الحقيقة ، مركزا على مسلماته ومعتقداته وافتراضاته بموضوعية ، وعلمية لا يشوبها تحايل أو تجاهل ، وتحقير للتصورات ، والنتائج .

إن العمل الذي يقوم به المحجاج لكشف توقعات المحاجج وردود أفعاله وأقواله ، هو الهدف النهائي الذي لابد من الوصول إليه بالمحاورة ، والتساؤل ليحقق الحجاج فعّاليته ، ويضمن المحاجج احتواء عالمه لعالم المحاججين ، كما إن طبيعة الأسئلة المطروحة تكشف عن هوية الجمهور المحاجج من ناحية

1 – ينظر، نعمان عبد الحميد بوقرة الخطاب و النظرية و الإجراء، دار جامعة الملك سعود للنشر ، المملكة السعودية ، ص 159 .

2– ينظر، هنريش بليت، البلاغة و الأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،ترجمة و تقديم و تعليق محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب 1999 ، ص 136 .

3 – ينظر ، علي شعبان ، الحجاج و الحقيقة و آفاق التأويل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ،ط 01، 2010 ، ص 431 و ما بعدها

أفقه الفكري ، وعمق تصوراته للمسألة ، فتَنوُّعُ الجمهور مقولةٌ تحكمُ الأنماط الحجاجية ، وتوجهها نحو الإقناع أو الاقتناع[1] .

6-ج- نظرية السلالم الحجاجية :

تعتبر نظرية السلالم الحجاجية من أهم المفاهيم الحجاجية التي أفرزتها الدراسات اللسانية التداولية في حقل الحجاج ، وقد تنوعت أسماؤها ومفاهيمها بحسب تنوع اختصاصات الدارسين لها ؛ فالباحث "طه عبد الرحمن " تناولها تحت عنوان مراتب الحجاج وقياس التمثيل " ويقول فيها : "اعلم أن الاهتمام بـ " مسألة المراتب أو المـدارج " باعتبارها ظاهرة لغوية طبيعية اتخذ صبغة خاصّة مع انبعاث الدراسات اللسانية ، ومباحث فلسفة اللغة ، ويكفي شاهدًا على ذلك تنوع اختصاصات الدارسين الذين اشتغلوا بهذه المسألة اللغوية ، نجد من بينهم اللساني ، والمنطقي، والرياضي والمتفلسف "[2] .

تطـرح نظرية السـلالم الحجاجية تصورا لعمل المحاججة من حيث هو " تلازم بين قول الحجة ونتيجتها ، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة ، على أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج . كما أن الحجج الواردة في الأقوال والأفعال يجب أن تخضع إلى ترتيب منطقي بحسب القوة ، والضعف ، والأمر الذي ينفي عليها الخضوع لمنطق الصدق ، والكذب ، وهذا الترتيب هو ما يسمى السلم الحجاجي .

تتأسس هذه النظرية على الطرح اللساني للحجة ، فالحجاج هو مجموعة من العلاقات النصية في الخطاب ، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية ، أو قابلة للقياس بالدرجات ، أي أن تكون واصلة بين السلالم[3] . وإذا كانت العلاقة الحجاجية متدرجة فهذا يقتضي تلازما بين القول

1 – نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب و النظرية و الإجراء ، ص 163 .

2 – طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 273 .

3 – ينظر ، محمد عبد الباسط عيد ، في حجاج النص الشعري ، دار النشر ، إفريقا الشرق ، المغرب 2013 ، ص 23 .

أو الحجة ، والنتيجة المترتبة عليه ومن الممكن تبعا لمقتضيات السياق ، وخصوصية المقام أن يصرح بالنتيجة التي أفضت إليها الحجة أو لا يصرح فتبقى حينئذ ضمنية إستنتاجية[1] .

6–د– مفهـوم السلم الحجاجي :

حاول " ديكرو Ducrot " من خلال كتابه " السلالم الحجاجية " و مؤلفه مع الحجاج " الحجاج في اللغة " بالاشتراك مع " أنسكومبر J-Anscombre " رصد مفهوم جامع للسلالم الحجاجية ، فهو يعتبرها " نظاما للحجاج قائما على معيار التفاوت في درجات القوة ، وعلى سلمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة ، وبين الحجة الأكثر ضعفا ، إذ يمكن أن تقول عن متكلم أنه وضع فئة حجاجية ، حين يعتبر (ج1) حجة أعلى أو أقوى من (ج) بالنسبة لـ (م) ؛ إذا قبل أن استنتاج (م) من (ج) يتضمن قبول استنتاج (م) من (ج1) و العكس غير صحيح ... أي أن استنتاج (م) من الحجة .

الأكثر قوة ، يقصي إمكانية اللجوء إلى الحجة الأقل قوة ؛ بهذا المعنى تنتظم الفئة الحجاجية بواسطة علاقة سلمية ، أسماها ديكرو (السلم الحجاجي "س .ح" [2]» .وقد عبر عنه بالصياغة الآتية :

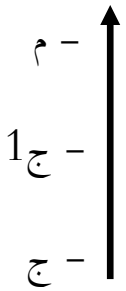

ما ذهب إليه ديكرو أثبته الباحث عبد الهادي بن ظافري الشهري ، فقد مثل للسلم الحجاجي بما يعرضه الإنسان في سيرته الذاتيـة ، من ترتيبات في حياته ؛ منها نموه المعـرفي ، وأعمـاله ، وهذه

1 – محمد عبد الباسط عيد ، في حجاج النص الشعري ، ص 24 .
2 – محمد طروس ، النظرية الحجاجية ، ص 95، 96 .

الترتيبات هي عبارة عن حجج ، ولهذه الحجج « مراتب مختلفة ، كل مرتبة منها ترتبط مع غيرها بقوانين مخصوصة [1] " ، وهذه القوانين هي ما يسمى بقوانين السلم الحجاجي .

فالحجاج اللغوي كفعل إنجازي تأثيري يتمثل صلبه في : " تدافع الحجج ، وترتيبها حسب قوتها ، إذ لا تثبت غالبا إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق "[2] ، فالسلم الحجاجي في أبسط صوره هو " علاقة ترتيبية للحجج " .

ومن ثم يمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه : " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ، مزودة بعلاقة ترتيبية ، وموفية بالشرطين التاليين :

أ- كل قول يقع مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقـوال الـتي دونـه .

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه[3] .

6-هـ- قـوانين السلم الحجاجي :

لقد صاغ ديكرو ضمن كتاباته ثلاثة قوانين تحكمها (قانون تبديل السلم ، قانون القلب و قانون الخفض) و عدَّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم ، وهي :

1-قـانون تبديل السلم /النفي :

يقوم هذا القانون على مبدأ أنَّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيَّن ، فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[4]. و معنى هذا " إذا كان " أ " ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " ن "فإنَّ " ~ أ " ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة " لا-ن " .

1 - طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 273 .
2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص 499 ، 500 .
3 - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277 .
4 - المرجع نفسه ، ص 278 .

2–قـــانون القلب :

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي ، و يعد تتميما للقانون السابق و مفاده أنَّ السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلَّم الأقوال الإثباتيَّة ، فإذا «كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيَن ، فإنَّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوَّل في التدليل على نقيض المدلول » [1] . و بعبارة أخـرى إذا «كان " أَ " أقوى من " أ " بالقيـاس إلى النتيجة "ن" ، فإن " ~ أَ " هو أقوى من "~أ" بالقياس إلى "لا–ن"»[2] .

3–قـانون الخفـض :

مقتضى هذا القانون أنَّه إذا«صدق القول في مراتب معيَّة من السلم ، فإذا نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها »[3] و يمكن لهذا القانون أن يكون قانون كلما وقع الإرتقاء ، و بموجب هذا ، فالترتيب بين الحجج يمكن أن يعدَّل و يتغيَّر الموقف في حجَّة معينة تعدّ صادقة بعد أن بدت كاذبة و العكس صحيح و ترتيب الأقوال إذا كانت من الأسفل (الضعف) إلى الأعلى (القوة) فإن نقيضها يكون من الأعلى (القوة) إلى الأسفل (الضعف) و هو ما أكده أبو بكر العزاوي لما حد مفهوم قانون الخفض بقوله : «يوضح قانون الخفض ، الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا لعبارة (moins que) » [4] .

6–و– أهمية نظرية السلالم الحجاجية:

تكمن أهمية نظرية السلم الحجاجي في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للملفوظ ، ذلك أنه إذا كان للقول وجهة حجاجية تحدد قيمته باعتباره يدعم نتيجة ما ، و إذا كان القول مندرجا ضمن قسم حجاجي قائم على قوة بعض مكوناته ، و ضعف بعضها الآخر بالنسبة

1 – طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 278 .
2 – أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 22 .
3 – طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277 .
4 – أبو بكر العزاوي : الحجاج في اللغة ، مجلة المنارة ، ص 4 .

إلى نتيجة ما ، فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المندرج ، و الموجه للأقوال يبين أنّ الخطاب الحجاجي ليس مطلقا ، إذ لا يتحدد بالمحتوى الخبري للملفوظ ، و مدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون ، و إنما هو رهين اختيار هذه الحجة ، أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة ، لذلك فالحكم على الخطاب الحجاجي أساسه القوة و الضعف اعتبارا لطابع التدرج فيه لا الصدق و الكذب [1].

6-ز- الروابط والعوامل الحجاجية :

إذا كانت اللغة ذات وظيفة حجاجية ، فإنها تشتمل على مؤثرات لغوية خاصة ، مهمتها القيام بعمليات ، يطلق عليها الروابط ، و العوامل الحجاجية الأمر الذي يسهم في توجيه عملية تأويل الخطابات و فهمها .

ميز ديكرو بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية ، أما النوع الأول فيربط بين الأقوال مثل أدوات الاستئناف (الواو ، الفاء ، لكن ، إذن ...) و يطلق عليها الروابط الحجاجية ، و أما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر ، و النفي ، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل : منذ الظرفية ، و تقريبا ، و على الأقل ، و يسميها عـوامل حجاجية ، و أما عن الفرق بين الروابط Les connecteur و العوامل الحجاجية Les operateurs ، فإن الروابط تربط بين قولين أو حجتين (بين حجة ، و نتيجة ، أو مجموعة حجج) أما العوامل " فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، و لكنها تقوم بحصر ، و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما من قبيل : ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ما .. إلا ، و جل أدوات القصر "[2] .

1 - شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 370.
2 - أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 28 ، 29 .

– الروابـط الحجاجية Les connecteurs argumentatifs:

الرابط الحجاجي بمثابة عنصر نحوي أو مؤشر من قبيل : الواو ، الفاء ، لكن ، إذن، حتى ،لاسيما ... يقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين ، و بالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالا لغوية يحمل عليها و هي منفصلة عن بعض [1] .

يمكن تصنيف الروابط الحجاجية حسب :

أ–معيار الوظيفة: و تندرج تحتها الروابط المدرجة للحجج و الروابط المدرجة للنتائج .

ب–معيار العلاقة بين الحجج : و تندرج تحته نمطان من الروابط :

1–**روابط التعارض الحجاجي** : و التي تربط بين الحجج المتعارضة/المتعاندة .

2–**روابط التساوق الحجاجي** : و هي مجموع الروابط التي تربط بين الحجج المتساندة مثل : حتى ، لاسيما...

– العوامـل الحجاجية Les operateurs argumentatives :

العامل الحجاجي مورفيم إذا جرى تطبيقه في محتوى ، أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ ، يقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل بنية الفعل الكلامي ، وهو عبارة عن عناصر تدخل الإسناد مثل الحصر، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل منذ الظرفية ربما تقريبا ، على الأقل ، كاد ،قليلا ، كثيرا ... تقوم بحصر ، و تقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما ، ووفقا لهذا اقترح ديكرو نظرية خاصة بالعامل الحجاجي مفادها :

أنه إذا كانت مجموعة "ج" من الملفوظات تشترك في المحتوى "ن" نفسه ، ومجموعة "جَ " من الملفوظات تشترك في المحتوى " نَ " نفسه ، بحيث نَ=ن+ع يكون عاملا حجاجيا إذا كانت

1 – ينظر رشيد الراضي ، الحجاجات اللسانية والمنهجية البنوية ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته ،ج 2 الأردن 2010م ، ص 234 ، 235 .

إمكانات الحجاج التي تتيحها " جَ" مختلفة عن تلك التي تتيحها "ج" من غير أن يكون ذلك بسبب المعلومات التي يضيفها "ع" أو بغض النظر عن قيمته الخبرية الواردة[1] .

إن المتعارف عليه في بناء أي خطاب حجاجي هو القيمة الحجاجية لملفوظ ما ، وليس محتواه الخبري ، فبعض الملفوظات لها قيمة حجاجية هي في واقع الأمر عكس محتواه الخبري ، أي أن بينهما تعارضا سيما تلك التي تحتوي بعض العوامل الحجاجية من نحو(كاد ، تقريبا ، ما ...إلا ، لا ...) التي تعمل على حصر دلالة الملفوظ ، وتحديد وجهته الحجاجية .

1 – ينظر ، أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 233 .

الفصل الثاني :

آليات الحجاج في المنام الكبير دراسة تداولية

1-الآليات الحجاجية اللغوية :

1-1- الروابط و العوامل الحجاجية .

1- 2- التكـــــرار.

1- 3- أفعال الكلام.

2- الآليات الحجاجية البـــلاغية :

2-1- حجاجية البيـــان .

2- 2- حجاجية البديـــع .

تمهيد :

استطاع الوهـراني ابتداعَ فنَّ المناماتِ وتضمينه كثيرا من قضايا عصره السياسية ، والأخلاقية والإجتماعية ... ، والتعبير عن مواقفهِ منها بأسلوبٍ ساخرٍ لا يخلو من نقدٍ لاذعٍ مسَ كثيرا من الشخصيات ، والسلوكيات ، وقد كان المنام الكبير مطِّيةً ناجعةً اخترقَ من خلالها ركن الدين الوهراني مجتمعهُ ، وكشفَ عن عيوبهِ وأمراضهِ ، وساعدَه على ذلك أسلوبهُ العجائبي الطريف وبراعتهِ اللغويةِ والأدبيةِ وسِعةِ إطـلاعهِ على ثقـافة عصره ، وعلى مختلف علومها ، وآدابها .

وعليه حاولَ البحثُ في الجانبِ التطبيقي ، استنباط الآليات الحجاجية التِي مكَّنت الوهراني من إيصالِ تلكَ الحججِ ، وحمل القارئ ، وإذعانه على تقبلها ، والاقتناع بها ، حيث تم تقسيم هذا الجانب إلى قسمين : الحجاجُ اللغوي ، والحجاجُ البلاغيِ ، فتضمن الحجاجُ اللغوي البحث في الروابطِ ، والعواملِ الحجاجيةِ ، والتكرارِ ، والأفعال الكلامية . أما الحجاج البلاغي فقد تم البحث فيه عن البيان ، من تشبيه ، واستعارة ، وكناية ، وكذا البديع من تجنيس ، والسجع ، والطباق .

وإن كانَ المنامُ الكبير زاخرًا بجواهرَ من الصورِ اللغويةِ ، والأدبيةِ ، والبلاغيةِ التي تتطلبُ كثيرًا من الآلياتِ والأدواتِ التنقيبيةِ التي تُظهر وتُبرز تلكَ الجمالياتِ وتعطي للنصِّ مكانته التي يستحقها فهو لا يعدو مجرد نص أدبي نُسِجَ للترفيه والمؤانسة مثل المقامات بل ارتقى لحد تبوء مكانة الوثيقة التاريخية التي يعتد بها لتأريخ لتلك الحقبةِ من الزمنِ ، وفي مايلي يأتي توضيح لتلك الآليات الحجاجية في المدوّنة :

1-الآليات الحجاجية اللغوية :

يهدف أي خطاب حجاجي إلى الإقناع ، و لتحقيق ذلك يلجأ المخاطب إلى تبني استراتيجيات في عرض الحجج قصد استمالة المتلقي ، فتسلك تلك الحجج المنتقاة سبلا مختلفة و فق ترتيب من الأضعف إلى الأقوى ، ما يمنح النص طاقة حجاجية تمكنه من أسر المتلقي ، و التأثير فيه ،

و للوصول إلى كل ذلك لابد من تتبع الآليات الحجاجية التي تم توظيفها لتحقيق ذلك في منامات الوهراني .

1-1-الروابط والعوامل الحجاجية :

تعد من التقنيات الأساسية التي لجأ إليها الوهراني في منامه من أجل خلق اتساق و انسجام داخل النص ، فضلا عن دورها الحجاجي في التأثير و الإقناع ، فمنها :

أ- الروابط الحجاجية :

يرى " أبو بكر العزاوي " أن الروابط الحجاجية تقوم بالربط «بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) و تسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتجية الحجاجية العامة ، و يمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية : بل ، لكن ، حتى ، لا سيما ، إذن ، بما أن ، إذ ...[1]» فالروابط تعمل على الربط ، ووصل الحجج بعضها ببعض ، وهي من الآليات اللغوية التي تحمل قوة حجاجية ، حيث يعّمد إليها المتكلم قصد إقناع المخاطب ، و التأثير فيه ، و هذا دليل على أنّ بنية اللغة تتضمن قيمة حجاجية المؤشر الأساسي و البارز ، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها " [2] .

أ-1- الرابط الحجاجي (الواو) :

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ، ويستعمل حجاجيًا بوصفه رابطًا عاطفيًا يعمل على ترتيب الحِجَجِ ، ووصل بعضها ببعض ، بل يعمل على رصّ الحجج ، و تماسكها فضلا عن التدرجية ، أو السلمية في ترتيب الحجج ، وعرضها.

قال الوهراني : " لما تعذرت مآربي ، واضطربت مغاربي ، ألقيت حبلي على غاربي ، وجعلت مذْهبَات الشعر بضاعتي ، ومن اختلاف الأدب رضاعتي ، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته واستمطرت راحته ، ولا بوزير إلا قرعت بابه ، وطلبت ثوابه ، ولا بقاض إلا أخذت سببه

1- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ط 01 ، 2006 ، ص 27 .
2- المرجع نفسه، ص 55 .

وأفرغت جيبه . فقلت بي الإعصار ، وتقاذفت بي الأمطار ، حتى قربت من العراق ، وقد سئمت من الفراق ، فقصدت مدينة السلام ، لأقضي حجَّة الإسلام ، فدخلتها بعد مقاساة الضُّر، ومكابدة العيش المر، فلما قر بها قراري، وانجلى فيها سراري، طفت بها طواف المفتقد ، وتأملتها تأمل المنتقد ، فرأيت بحرا لا يعبر زاخره ، ولا يبصر آخره ، وجنة أبدع غارسها ، وفار باللذة حارسها ، لايضل عنها المتقون المنتقون ، ولا يرتقي إلى صفّها المرتقون ، "كمثل الجنة التي وعد المتقون " [1] .

حاول الوهراني من خلال الرابط (الواو) أن يصور جوانب الحياة في المجتمع العربي المشرقي أيام الأيوبيين ، ناقلا الأجواء التي عاشها ونقلها للقارىء فجعله يسري بخياله ليعيش تلك الحياة وأحداثها ، متخذًا من الرابط الحجاجي (الواو) وسيلةً لجذب المتلقي، واستمالتهِ محاولاً التأثيرِ فيه لمواصلةِ القراءةِ دونَ التوقفِ ، حيث صوّر حاله وهو في عوز ، وضيق ، وكيف اتّخذ من شعره بضاعة للتكسب ، فطرق أبواب الملوك ، والوزراء ، والقضاة ، ونصب عليهم جميعا تكسبًا ، وطلبًا للرزق ، وتنقل بين الأمصار إلى أن استقرَّ به الحال في مدينة السلام لقضاء حجَّة الإسلام ، فصوَّر حالها ، وحال أهلها ، وأنَّه كمثل الجنة التي وعد المتّقون . لذلك طاب له المقام بها ، فكانت حججه مترابطة ، متسلسلة ، ما جعل كلامه متكاملا منسجما . وبذلك ساعد الرابط الحجاجي(الواو) على انسجام النصّ وزيادة ترابطه ، والتأثير على القارىء ، واقتناعه بالحجج التي جاء بها الكاتب .

و في موضع آخر يقول :

" حدثنا عيس بن حماد الصّقلي قال : لما اختلَ فِي صقليةَ الإسلام ، و ضَعُفَ بها دينُ محمدٍ عليه السلام. هاجرتُ إلى الشامِ بأهلي ، وجعلتُ جلَّق محطَّ رحلي ، فدخلتها بعد معاناة الضَّر ، ومكابدة العيش المرّ . فلما انجلى فيها سراري وقرَّ في بعض محلاتها قراري ، رأيت معي في الحارة رجلا ثقيل الإشارة ، نبطي الشكلِ ، والعبارة ، يأخذهُ التيه ، ويدعهُ ، ويرفعهُ الإعجابُ ، ويضعهُ ، فقلتُ

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، تح : إبراهيم شعلان و محمد نغش ، منشورات الجمل ، ط 1 ، 1998 ، ألمانيا ، ص 10 .

في نفسي : ليتَ شعري من ذا ومن أى كنيف خرجَ هذا ، وبعد على غوره ، وأشكال على أمره ، فاعترضته في الطريقِ ، وسلمت عليه سلام صديقٍ وأنشدتهُ :

أَجَارَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا و كلُّ غَريبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وبسطت بالحديث حتى جاء بالقديم والحديث ، وقال : مولدى منوشهر (و منشأى ما) ، وراء النهر . لكن بالشام و العراق مداريِ ، فأيقنت بالشكلِ الـمُغْرب أنه من بلاد المغرب ، وبأن لي من خلال ألحاظه ، وفلتات ألفاظه أنّ الرجل يقطينة ، وأنه مغربي الطينة " [1] .

بفضل الرابط الحجاجي (الواو) جاءت الحجج متّسقة ، مترابطة ، وكلّ حجة تعمل على تقوية الحجة الأخرى ، ووصل بعضها ببعض . فبسقوط صقلية ، وضعف الدين الإسلامي فيها ، بدأت الحياة الاجتماعية تتدهور ، ومعها بدأت تتفشّى الظواهر السلبية : من الحيلة في التكسّب ، والاضطرار للتنقل والِترحالِ طلبًا للرزق ، وهربًا من العيشِ المرِّ . وكان حضور الرابط الحجاجي (الواو) بشكلٍ واسعٍ في المنامِ الكبيرِ ، وذلك لما يوفرهُ من استرسال لإقناع السامع ، والتأثير فيه . حيث تحدث الوهراني على لسان عيسى بن حمّاد – فهو في منامه الكبير يتراوح دوره بين الراوي ، والبطل فتارة تجده هو الراوي على لسان شخصيات ابتدعها ، وأخرى واقعية أحدث عليها تغييرات على حسب ما يريد إيصاله من رسائل – عن تنقله وارتحاله رفقة أهله ، وتنقله من المغرب إلى بلاد الشام ، وفي غربته تلك عثر على جــار له والذي بدى لهُ من ملامحـهِ ، وكلامه وألفاظهِ بأنـه مغربي ، فجاء بأبياتٍ من الشعرِ لاستمالتهِ ، وتليين طرفهِ ، إذ أنشد فيها بأنّهم أخوة في غربتهم تلك ، وبالفعل بسط معه الحديث ، وتَأكد بأنّهُ مغربي ، وبالتالي ساعد الرابط الحجاجي (الواو) الوهراني على نسج خطته الحجاجية وتقويتها .

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 97 .

أ-2- الرابط الحجاجي " الفاء " :

يعتبر رابط (الفاء) من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجية ، إذ يربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير ، فهي أداة ربط علّية واستنتاجية في الخطاب الحجاجي ، وتجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدّلالة على التقارب بين الأحداث ، فضلا عن الدلالة على الترتيب و الاتصال ، كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببا عما قبله [1].

يقول الوهراني :

" فدلَّني بعض السادة الموالي ، إلى دكان الشيخ أبي المعالى . فقال : هو بستان الأدب ، وديوان العرب ، يرجع إلى رأي مصيب ، ويضرب في كل علم ينصب . فقصدت قصده ، حتى جلست عنده . فحين نظر إليَّ ، ورأى أثر السَّفر عليَّ ، بدأنى بالسلام ، وبسطني بالكلام ...

ولكن السكوت عن هذا أنجح ، و مسالمة الأفاعي أصلح . قال : فما تقول في دولة كافر صقلية ، وسيرته في الأيام المتولّية ؟ فقلت له : إنه لما انقرض طاغوتها ، وهلك جالوتها ، وتناثر سلكها ، وتدابر مُلكها ، فصاروا يمدُّونه بالهدايا والبراطيل ، بعد الجيوش والأساطيل " [2].

وظفَ الوهراني الرابطَ الحجاجي (الفاء) في هذا المثال لترتيب حججه ، فعندَ نزولهِ بالمدينةِ بعد سفر وعناء سأل عن علماءها فدله أهلها على الشيخ أبي المعالي ، فتوجه مباشرة قصده وجلس إليه ، و هذا دليل على حبه للعلم ، و مجالسة العلماء ، و إجاباته للشيخ أبي المعالي تنمُ عن ذلك فقد حدثه عن صقلية و حاكمها ، و حال أهلها ، فبعد أن كانت تطيح بأعناق الجيوش وتبسط سلطانها على كل الأساطيل صارت الآن يتم مدُّ ملكها بالهديا والبراطيل ، فكان للرابط الحجاجي (الفاء) دور في العملية الحجاجية التي حاول الوهراني من خلالها إقناع المتلقي بحججه التي أوردها والتأثير فيه ، وإقناعه بما يقوله.

1- ينظر ، عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنايته ،كلية الآداب منوبة ، ص 332 .

2- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ، ص 03/02 .

و في مثال آخر يقول الوهراني :

" وفي هذه المواطن كما علمت رائعة الجنان ، ورائحة الجنان —فرماه الدهر بالحظ المنقوص ، وطرحه إلى أرباض مدينة قوص ، يتقلى في حر السعير ، ولا يشبع من خبيز الشعير ، إدامه البصل والصبر ، وفراشه الأرض والحصير ، فألحت عليه الهواجر ، شهرى ناجر ، فتمنى على الله ريح صبا تهب من نحو بلاده وأولاده ، لتبرد غليل فؤاده ، فهبت عليه من نحو صحراء عيذاب ، بكل نقمة وعذاب ، فطلعت روحه إلى التراق ، ومد يده إلى الماء ليبرد كبده مما يكابده ، فوجده أحرَّ ، من زبل الحمام ، ومن ماء الحمَّام ، فتذكر حينئذ ما خلفه من الربوع ...، فعظم حينئذ مصابه "[1] .

تحدَّثَ الوهراني في هذا المثال عن المواطن التِي كانت جنَّةً بالأمسِ وكيف استحالت بعد أن رمَاهَا الدهرُ وأتاها حر السعير ، فأصبح أهلها يفترشون الحصير ولا يشبعون من خبز الشعير ، ليس هذا فحسب بل جاءتهم ريح هبت عليهم من نحو عذاب ، حامِلةً كل نقمةٍ ، وعذاب ، فزادت في مصابهم ، ولم ينفعهم دعاء حاكمهم ، وتضرعه لله ، حينها تذكّر ما خلف وراءه من ربوع بسبب تقاعصه ، وتراجع همّته وانحصار مدِّ الإسلام ،وتراجعه ما زاد ذلك في همه ، وغمه . وساعد الوهراني الرابط الحجاجي(الفاء) ، الذي أفاده في ترتيب حججه ، والتدرج في وضعها بحسب مقتضى الحال الذي كانت فيه تلك الديار ، من الأحسن إلى الأسوأ ما عمل على تناسق النص ، وانسجامه بالإضافة إلى زيادة قوّته الحجاجية .

و في مثال آخر يقول :

" قال عيسى بن حماد // فقلت في نفسي : أكون فضولي الأرض بالطول ، والعرض ، ويدخل على هذا المحال المحض ، واستدللت عليه برجل كان يأنس إليه فقال الرجل : أنا جهينة أخباره ، وأحذق الناس بأدباره أعرفه صغيرا وكبيرا وإن شئت فاسأل به خبيرا . فقلت : عرفني مربضه ، وأي بحر لفظه ، فقال : أما الطينة فمن قسطنطينية ، وأما القبيلة فمن زويلة ، وأما النخلة فمن حمير الفحلة ،... وحاول كل معيشة فلم يقدر على حشيشة ، فساقه القلقندر ، والقضاء المقدر إلى عجوز مغربية

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 20/19 .

محكمة في خمسين صبية ، تعلم البنات الغزل وتجنبهم المجون والهزل ، قد اشتهرت بالرفق والأناة ، والحذق في تعليم البنات قد أخصب مكانها ، وامتلأت بالكسر أركانها . فجاء هذا الشيخ يطلب عندها بيتًا للكراء ، وهو كما رأيتُ قد جمعَ بين الجفَا وغلظِ القفَا ، فأبصرتهُ العجوز على تلك // الحالة ، فتوسمت فيه عظم الآلة ، فسرى خيالها ، وسال عليه ريالها ، ولم يفارق بابها حتى كتبت عليه كتابها "[1] .

اعتمدَ الوهراني على الرابط الحجاجي (الفاء) لاستمالة القارئ ولاسترسَالِ حَديثِهِ ، وكيفَ بحثَ في فضولٍ عن الشيخِ الذي يدّعي العلومَ ، والمعرفةَ ، وبطريقةٍ تهكميةٍ ساخرةٍ فضحَ تلكَ الظاهرة السيئة التي تَفشت فِي تلكَ الفترةِ من الزمنِ حيث كثرَ إدِّعاء الإمَامَة ، والمشيخة ، فتلكَ العجوزُ المغربيةُ أتخذت من ذلك الرجلِ الغليظِ التعيسِ ، الذي طرق كلَّ أبوابِ الرزق ، ولم يفلحْ ، إلاَّ أن ساقه القدر إليها فاتخذته زوجًا لها ، وعلّمته كيف يصيرُ إمامًا ، وشيخَ المجالسِ من دون جهد وعناء في طلب العلم بل بالصياح واللباس والعمائم ، وعرض المناكب ، وهو بذلك فضح هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة بأسلوب ساخر ، متخذًا من الرابط الحجاجي (الفاء) وسيلةً لتقويةِ الحجج التي أوردها في نصّهِ ما أسهم في تماسكـه ، وتقويته ، إضافـة إلى التأثير في القارئ ، وحمله على الاقتناع بها.

الملاحظ أن توظيف الرابط الحجاجي " الواو " و الرابط الحجاجي " الفاء " كان واسعًا من طرف الوهراني في منامه وذلك لما يحقّقان من اتساق وانسجام داخل النص ، كما عملا على ترتيب الحجج وتقويتها ، وبذلك خرجت من دورها النحوي إلى الدور الحجاجي .

أ-3- الرابط الحجاجي " حتى " :

وهي من الروابط المتساوقة حجاجيا والمدرجة للحجج القوية . والحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنها تخدم نتيجة واحدة ، والحجة التي ترد بعد هذا

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 98 .

الرابط تكون هي الأقوى ، لذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة (حتَّى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي [1] .

يقول الوهراني :

" // ثم أقبل على تعضيص كفيه ، وتخميش خديه ، ثم بكى حتى خرَّ مغشيًا عليه – بأشدّ من شوق الخادم (إلى لقائه) وتطلعه (إلى ما) يرد من تلقائه – فنسأل الباري جلت قدرته أن يجمع الشمل بهم قريب ، إنه سميع مجيب " [2] .

تحدث الوهراني في هذا المثال عن لوعته وشوقه لديار أهله ، وبُعدِه عنهم ، وهو في تذّكره لهم وإلى أيامهم تعاظم عليه الشوق والحنين ، حيث تذكّر تلك الجنانِ ، والريحانِ ، وما اجتمعَ فيها من أصنافِ النعيمِ ، وكيفَ رماهُ الدهرُ إلى بلادٍ لا خبزَ فيها للشراء ، ولا هو قادرٌ على بيتٍ للكِراء وقد سكن الجوع في قلوب أهلها . فعمل الرابط الحجاجي (حتى) على مساعدة الوهراني لنقل تلك الآلام ، والمشاعر وصبّها في نتيجة واحدة (حتّى خرّ مغشيا عليه) ، وبذلك يحمل القارئ على تصديقِ أقوالهِ وإثارة عواطفهِ وتوجيههِ الوجهةَ التي يريد .

و في موضع آخر يقول :

" احترق نيل مصر في هذه السنة إلى حد ما انتهى (قط إليه) ، **حتى** ظهرت آثار المجلس الذي كان يجلس فيه فرعون يوم الزينة . ويقول : « أنا ربكم الأعلى وهذه الأنهار تجرى من تحتى » ثم تأخرت الزيادة عن وقتها المعهود **حتى** يئس الناس منها ، وشنعوا أن ملوك الحبشة صرفوا النيل عن مجارى ديار مصر إلى ناحية بلاد الزنج فلا يعود إليهم أبدًا "[3] .

1 – ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 73 .

2 ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 185 .

3 – المصدر نفسه ، ص 186 .

عمل الرابط الحجاجي (حتى) في هذا المثال على تأكيد الوضع السّيئ الذي آلت إليه ديار مصر من جوع ، وقحط ، وجفاف ، فنهر النيل قد اختفت خيراتهُ ، بعد أن جفَّ ويئسَ أهله من عودته وعودة خيراته ، وانتظروا قدوم المدد من ملوك الحبشة ، وهم على ذلك الحال إلى أن منَّ الله عليهم وانشرحت الصدور وطابت النفوس . فكانت حجية الرابط (حتى) قوية ، وساعدت الوهراني على إكساب خطابه شحنة حجاجية للتأثير في المتلقي ، وتصديق أقواله ، وحمل تلك الصور إليه .

أ-4- الرابط الحجاجي " بل " :

يعدُ الرابط "بل" من الآليات الحجاجية التي تعمل على الربط بين ملفوظين ، وتأتي بل للإضراب ، سواء أكان الإضراب انتقال أو إضراب إبطال ، وتسهم "بل" في إنشاء السلم الحجاجي من خلال النفي الذي يأتي قبلها ، ويعد ما قبلها درجة أولى في السلم ، وما بعدها أعلى درجات السلم ؛ لما يحمله من قيمة إقناعية [1] .

وقد ورد هذا الرابط الحجاجي في منامِ الوهراني الكبير ، ومن الأمثلة الدالة عليه فيه قوّلـه :

" أم بكل من استضعف جانبه (من الأصحاب) ؟ فقلت : (لا بل بكل من استضعف جانبه) . (فسكت ساعة ثم قال) : فديته هكذا وصيته (ياوهراني ياوهراني) " [2].

جاءَ في معرض كتاب الوهراني للقاضي الأثير بن بنان ، يخبرهُ عن الرجلِ الذي طلعَ عليهِ في زي الصوفيةِ ، والذي اشمأزت نفسهُ منهُ ومن مظهره ، وفي حديثهِ معه تبين بأنَّه إبليس وأخبره عما فعل بملك الصين ، وكيف أثناهُ عن رأيهِ عن الدخولِ في الإسلامِ ، وما فعله من فتنة وفساد بين أولاد عبد المؤمن ، وأخيرا أخبره عن الخصام الذي وقع بينه وبين القاضي بن بنان ، وأنه هو السبب في تلك الخصومة والعداوة ، وقد فعل كذلك مع كل من أستضعفه ، وبذلك استطاع الوهراني من خلال

[1] - ينظر ، عزالدين ناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، تونس ،ط 01 ، 2011م ، ص 141 / 142 .
[2] - ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 88 .

الرابط الحجاجي " بل " أن يقنع القاضي بن بنان بموقفه ، ويؤثر كذلك في القارئ كي يحمله على تصديق حججهُ ، التِي أوردَها ، وأن يحَّذرَ الإنسانُ من كيدِ الشيطانِ ويحترزَ من وسوستهِ وإغواءاته .

ب – العوامل الحجاجية :

تختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية في كونها لا تربط بين متغيراتِ حجاجية (أي بين حجَّةٍ ،ونتيجةٍ ،أو بين مجموعة من الحجج) ، بل تقوم بحصر ، وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون بقول ما ، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربَّما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ما ...إلاَّ... و جلَّ أدوات القصر [1] وقد تواترت من هذه العوامل في منام الوهراني ما يأتي :

ب–1– العامل الحجاجي (لا...إلاَّ...) :

وهو من التراكيب التي تترتّب فيها الحججُ حسب درجتها الحجاجية في سلَّم حجَاجيٍ واحدٍ ، فهو عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاضِ ، وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه [2].

ويمكن تمثيله وفق المخطط الآتي : أداة نفي(لا) ← أداة استثناء (إلاَّ)

↓ ↓

نتيجة (ن) ← حجَّة (ح)

يقول الوهراني :

" مَا غَيَّرَ البُعدِ عَهدًا كُنتَ تَعرِفهُ ولا تَبَدلتُ بَعدَ الذَكرِ نِسيَانًا

ولا ذَكَرتُ صَدِيقًا كُنتُ آلفَهُ إلاَّ جَعلتُكَ فَوقَ الكُلِّ عُنوانَا " [3].

1 – ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 58 .

2– ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص 519 ، 520.

3 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 103 .

تحدثَ الوهراني هنا على لسانِ مغنّية تنشدُ لسيِّدها بأنَّها على عهدها لهُ ،ولم تنساهُ ، وبأنّه على قائمة المعجبين ،والمحبّين لها . وجاءَ الوهراني بهذه الأبياتِ لينقلَ لمولاه تقيّ الدين بدمشق ، وهو جوابٌ لكتاب قد وصلَ إليهِ من قبلٌ ، يخبرهُ عن الحال التي آلت إليها الدولـة من عبث حاكمها ، ومجونـه وتضييعه لأمور البلاد ، والعباد ، وبذلك ساعد الرابط الحجاجي (لا .. إلاّ ...) على تقييد تلك الحجج وحصرها لنقلها للقارئ ، وإقناعهِ ، والتأثير فيه ، وذلك الدور الأساس الذي لعبه المنام الكبير ، والذي يعدُّ أداةً ناقدةً اتخذهَا الوهراني لتتبّع الظواهر الاجتماعية ، السلبية ، وكذا الحكم والحكام .

و في موضع آخر يقول :

" واقْعُد معَ القَومِ فِي جَلالٍ لا بِالبُخَارِي و لا بِمسْلِمِ

إلاَّ صِياحـًا ونَقضِ كُـمٍ وعَقدِ لا لا و جَمعِ لم لم " [1]

جاءَ الوهراني بهذهِ الأبياتِ الشعريةِ على لسانِ الشيخِ أبو جابر المغربي واصفًا حالَ أهلِ العلمِ في ذلك الزمان ، إذ تركُوا مجالسة رجالَ العلمِ ، والفقهاءِ من رواةِ الحديثِ ، ومفسّري القرآن الكريم (بخاري و مسلم) ، واتخذوا من وسع اللّباس ، والعمم ، وعلوّي الصياحِ ، وكثرِ الجدل رداءً لهم لتَغطيةِ قِلّة علمهم ونَقصِ فقّههم ، فسَاعدَ العاملُ الحجاجيُ (لا...إلاّ...) الوهراني على تحميلِ القاريء على تصديقِ رأيهِ ، وتأييدهِ في موقفهِ من هؤلاءِ .

و في موضع آخر يقول :

" أنّه وصل من الشام في هذه القافلة رجلٌ متأدبٌ ، من ظرَّافِ المعلّمين المتأدبين (ممتدحًا لرجال الدولة) بأشعار تميل إلى الركّة والفتور ، فأنشد الخادم بعضها ، واستشاره في نشرها فقال له : الدين

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 101 .

النصيحة ، والمستشار مؤتمن . وعرّفه أنّ جيّد الشعر كاسد ، والرديء منه يردي بقائله ، ولا يحصل منه إلا على الحرمان بعد التعب الشديد "[1] .

كتب الوهراني هنا إلى القاضي عبد الرحيم بن على البيساني جوابًا يُحدّثه فيه عن هذا الذي وصل رفقة قافلة من الشام ، والذي جعل من شعره وسيلة للتنمق لدى رجال الدولة ،وبأشعار تميل إلى الركة والفتور ، فأخبرهُ الوهراني بأنَ جيّد الشعر كاسدُ ، والرديء لا ينالُ صاحبهُ غير الحرمانِ بعد التعبِ الشديدِ ، فتوقف عن قول الشعر ، وأمسكَ تلك الأشعار في صدره ، والتي أراد أن يقذفها في سبال الممدوحين حتى مَرضَ ، وكاد يُشرف على الهلاك ، و استثمر الوهراني هنا العامل الحجاجي (لا ...إلاّ ....) لتوجيه حججه نحو الانخفاضِ لإقناع المتلقي ، واثبات رأيه ، وتأييد موقفه .

و في موضع آخر يقول :

" وأنا ذكرنا في بعض ذوات الأجنحة جنسًا حقير السمات ، أسود الوجه والقفا والصفات ، لا يألف إلا قبور الأموات ، ولا يسعى إلا في الظلم والظلمات ...أخس مخلوقات الله تعالى ، وهو المسمى "بالوطواط " ،كم ضر ، وكم ساء وما سر ؟ ..، ولا هو حيوان ينتفع به ولا بر " [2] .

في معرض حديثِ الوهراني في كتابهِ" في وصف الحيوان " أدرجَ صفاتِ طائرِ الوطواط ، وجاء بجميع صفاته القبيحة فهو أسود الوجه ، والقفى ، والصفات ، لا تجده إلا في القبور ومع الأموات ، أي لا يستفيد منه الأحياء في شيء ، فهو لا يسعى إلاّ في الظلم ، والظلمات ، لا ينتفع به في شيء ، موظفًا العامل الحجاجي (لا ... إلاّ...) ، الذي أمدّه بشحنةٍ حجاجية عملت على ترسيخِ تلك الصّفاتِ لدى القارئ ، حيث تكوّنت في مخيلتهِ صورةٌ سيئةٌ لذلكَ الطائرِ انطلاقًا من الصفاتِ التي أوردهَا الكَاتبُ عنهُ .

1 - المصدر نفسه ، ص 72 .

2 - ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 236/235 .

ب–2– العامل الحجاجي (إنَّما) :

تفيد القصر وهي في معنى (ما...إلاَّ...) ، ويقتصر دور هذا العامل على الحجاج لا على الإخبار ، وهو ما تنبَّه إليه العلماء العرب القدماء . يقول عبد القاهر الجرجاني : " اعلم أنَّ موضوع (إنَّما) على أن تجيء لخبر لا بجهله المخاطب ولا يدفع صحَّته... تفسير ذلك أنَّك تقول للرجل : (إنَّما هو أخوك) و (إنَّما هو صاحبك القديم) ؛ لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحَّته ، ولكن لمن يعلمه و يقرّ به ، إلاَّ أنَّك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب [1]" . ومن أمثلة وروده في منام الوهراني الكبير قوله :

" وإذا أنا بالأعور البغدادي ، وقد جاء إلينا فقال : كيف رأيتم فعلى بكم (وضرباتي النافذة فيكم) . أنحستكم أم لا ؟ (لا تحقروني وتطرحوني) ، (ما أنا إلاَّ منحوسٌ كبيرٌ) ، (ثمَ أخذَ) يعتذر إلينا ويتنصلُ ممَا جنَاهُ علينَا ، ويقول : والله ما أردتُ بذلك الكلامِ إلاّ أن تُصفَعُوا بالدلاءِ والتواسيمِ ، مثل ما صفعتُ أنا لأنِي علِمتُ أنَكم قد شمتم بي ، وكنتم (لما حلَّ بي من الصَفعِ تفرَحون) " [2].

يحاول الوهراني من خلال المثال السابق أن يبين كيف سعى هو ورفيقه في البحث عن من يشهد معهما عن براءتهما ، مما قُذِفَا به أمامَ أمير المؤمنين كي يسمحَ لهما بالورودِ للحوضِ ، وشربِ الماءِ ، وبينما هما كذلك إذا بالأعورِ البغدادي قد جاء يشفي غليله منهما بعد أن شمتا به ، لأنّه صُفع بالدلاء ، والتواسيم ، وفرِحَا بما لحقه ، فأخبرهما بأنه منحوس كبير ، وما لحقهما من الرفض وعدم الورود إلاّ جراء نحسه هو ، وشماتتهم منه من جهة أخرى ، لكنّه اعتذر منهما ، ويتنصل ممّا جناه عليهما ، باستعمال الوهراني للرابط الحجاجي (ما ... إلاّ ...) الذي لم يأتِ للإخبار بأنّ الأعور البغدادي رجلُ شُأمٍ عليهما ، ورفقته مجلبةُ للنحس وسوء العاقبة ، وإنّما للتوكيد ، والتنبيه ، وترسيخ ذلك في ذهن القاريء .

1 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، ط 5، 2004م ، ص 330.

2 – – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 51 .

1-2- التكـرار :

يعتبر أسلوب التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدّمها المتكلم لفائدة أطروحته أو قضيته ، ويعرّفه السجلماني بأنه " إعادة اللّفظ الواحد بالعدد أو بالنوع ، (أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعدا [1]" ، فاستعمال أسلوب التكرار يساهم في تنامي النص ، وانسجامه ، وهناك أنواع مختلفة للتكرار ، كتكرار اللفظ وتكرار الحروف والروابط الحجاجية . وقد ورد في منام الوهراني في قوله :

" فَلمْ تكُ تَصلُحُ إلاَّ لَهُ وَلَـمْ يَكُ يَصلُحُ إلاَّ لهَا

فالله يُبقِيهِ للإسلاَمَ بِحرسِهِ والله يُبقِيهِ للدُنّيَا والدِين " [2] .

يصفُ شيخُ الوهراني في هذا المثال صفات الخليفة الإمام ، والذي هو ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليفة الله في بلاده ، سفاّح في حزمه ، وعزمه ، نديّ اليمين في كرمه ، شهم ، وصارم ، رشيد في سياسته ورياسته ، هذا ما بوّأه لتقلّدِ الخلافةِ ، ولا تصلحُ إلاّ بهِ ، فبتوظيف الوهراني لحجاجيةِ التكرار التركيبي ساهمَ من ناحية في نماءِ النصِ ، ومن ناحية أخرى تأكيد حججه و ترسيخها في ذهن المتلقي وإذعانه على تقبّل تلك الحجج ، وتصديقها .

و في موضع آخر يقول :

" قَامَ بأَمرِى وقد قَعدّتُ بهِ ونِمتُ عن حَاجَتِي ولم يَنمِ " [3] .

يتحدث الوهراني في هذا المثال عن صفات جلال الدين صاحب الدّيوان في مدينة السلام ، والذي كان يتّصف بكثرةِ الإنصافِ ، وكمالِ الأوصافِ ، والذي أغدَقَ الوهراني من واسعِ فضلهِ ، وكرمهِ وتولّى كل أمورهِ ، وحاجاتهِ بكلّ حرصٍ ، وأمانةٍ ، وحرصَ الوهراني على تِكرَارِ لفظةِ النومِ (نمت/لم ينم) ليبّين مدى حرصَ صاحبِ الديوانِ ، وعينهُ التي لا تنامُ على حاجات الوهراني ، فتوظيفهُ للتكرار في هذا المثال محاولةٌ منهُ لاستمالةِ صَاحبِ الديوانِ من جهةِ فهو سعى من خلال

1 – القاسم السجلماسي ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق و تقديم : علال الغازي، مكتبة المعارف ، المغرب ، ط 1 ، 1980، ص 476 .

2 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 07 .

3- المصدر نفسه ، ص 09 .

شعره إلى طلبِ الرزقِ والتكسب من كل من صادفه ، من حكام ، ووزراء وأصحاب شأّن ، وتأكيد صفات الممدوح وترسيخها في ذهن المتلقي من جهة أخرى .

وفي موضع آخر يقول :

" كُلمَا حَاوَلتُ أَشكُو قِصتِي لا أُلاقِي غَير ذِي قَلبٍ جَرِيحِ

(يتَشَكى مِثلَ شَكوى مِحنتِي) يَا لِقَومِي مَا عَليهَا مستريحُ " [1] .

تكرر اللفظ (شكوى) في البيتين السابقين (أَشكُو ، يَشتَكِي ، شَكوَى) ليتَبينَ عَظِيمَ المصابِ الذي لحقَ بالمساجد ، والتي طالها الخرابُ وخلت من الرّاكع والسّاجِد ، ونسجَ العنكبوتُ على بَابها ، وعشَّشَ الحمامُ في محرابِها فذَهبت تَشتكِي إلى الملكِ حَالها ، وعليه منحَ الوهراني من خلال التكرارِ قوةً لحُججه التي أوردها ، وهو يتحدث عن لسان المساجد ، وتأكيد على ذلك وترسيخًا في ذهن القاريء .

و في موضع آخر يقول :

" صَلَّى وصَامَ لأَمرٍ كَانَ يَأمُلهُ حَتَّى حَواهُ فَمَا صَلَّى ولا صَامَا " [2].

جاء الوهراني بهـذا المثال حيث كرر لفظتي (صلّى) و(صام) ليبينَ بِأنَ الشيخَ سعد بن أبي عصرون (وهو فقيه ، وقاضٍ وإمام) الذي تَكسَّبَ واكتنز الأموال بإدَّعاءهِ للدّينِ والورعِ إلى أن ظَفرَ بأنواعِ الصيد ، ثم باع الآخرة بالدانية والباقية بالفانية ، وأنَّه قليلُ الوفاءِ لهؤلاءِ الضعفاءِ (مساجد الشام) ، من خلالِ حجاجية التكرار حيث قوّى الوهراني موقفه ، ورسّخَ ذلك في ذهن القارئ ، وحملّه على تصديقه .

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 65 .

2 – المصدر نفسه ، ص 68 .

و في موضع آخر من منامه يقول الوهراني :

" أألهُو بَعدَكُم وأَقَرُ عَينًا علَّى اللَهوُ بَعدَكُم حَرَامُ "[1] .

استهلَّ الوهراني كتابه إلى البدرِ صاحب ضياء الدين – ابن الشهرزورى – بهذَا البيتِ ، والذي يؤكِدُ من خِلاه بأنّهُ على عهدهِ مزالَ محافظًا ، فقد تركَ اللَّهو واللعبَ ، وانشغل بطلب العلم ، وكسب الرزق بعد أن رمته الأقدار لبلاد لا خُبزَ فيها للشرّاءِ ولا دارَ للكِراء ، حيثُ كَرَّرَ لفظَتي (اللهو وبعدكم) ، لزيادة قوَّة حججه التي جاء بها ، وتأكيدهَا في ذهنِ من تَلقى كتابَهُ من جهة ، في ذهن القارئ وبذلك أضفَى طَاقةً قويةً إلى حُجَجِهِ من جهة أخرى.

و في موضع آخر يقول :

" ثم يكرّر هذا ساعة ، و يقول : دنانير كلموني ، دنانير كلموني ، (دنانير كلموني) يكرر هذا ألف مرة حتى خفت صوته ، وبرد جسمه ، ووقع رأسه في الأرض " [2] .

في هذا المثال يتحدث الوهراني عن مصابه الجلل حيثُ قام ابن الظفير بسرقةِ أموالهِ وتفريغِ كيسهِ من الدَنانيرِ ، فمَلأها الخَادمُ بفلوسِ النُحاسِ ومَثاقيلِ الرَصاصِ ، ورؤوس المسامير ، حتَّى صارَ مَربوطًا مثل ما كان ، فدخل في حالةِ حزنٍ حدَّ الهوسِ وأصبح يكلِّم نفسه ، وينوح مثل المرأة الثكلى عند قبر ولدها ، ويلطم ساعة ويكرر قوله " دنانير كلموني " ألف مَرّةٍ حتَّى أغمِيَ عليهِ ، وقد ساعد حاجية التكرار الوهراني في تَأكيدِ حَجمِ مُصابهِ وما فعلَ بهِ أبن الظفير ونقل بذلك حججه للأمير نجم الدين بن مصال ، وعمل على ترسيخ الفكرة لدى القارئ .

ممَّا سبق يتبين أن للتكرار قيمة فنية ، ومعنوية تضيف طاقة قوية إلى الحجج التي أوردها الوهراني في منامه الكبير ، حيث تؤثر على المتلقي ، وتساعد على إقناعه ، وحمله على الإذعان ،كما أنَّ هذا الأسلوب يعمل على التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي .

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 182 .
2 – المصدر نفسه ، ص 81 .

3– أفعال الكلام :

يرى (فان إيميرن V.Eemeren) و (غروتندورست R.Gootendorst) أنَّ الأفعال الكلامية هي من الأدوات اللغوية التي تسهم بدور فعال في الحجاج ، كما يريان أيضا بأنَّ الهدف من الخطاب هو الفيصل لوصف الخطاب بأنّه خطاب حجاجي من عدمه ، ذلك أنّ الهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المرسل إليه في وجهة النظر محلَّ الخلاف ، ومن أجل ذلك قام الباحثان بتتبع دور كل صنف من الأفعال الكلامية ، فوجدا أنَّ بعضها ذو دور حجاجي ، أمَّا بعضها الآخر فليس له ذلك الدَّور[1] (بإصدار أمر ، أو طلب ، أو توكيد ، أو وعد ...) وتتجسَّد في عدة أنواع كالنداء ، والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنفي ... .

ومن صورها في المنام الكبير للوهراني في قوله : " والفت إلينا فقال ما تريدون ؟ فقلت له : (إنا نحن قوم من أهل العلم و القرآن يا أمير المؤمنين) وقد بلغ بنا الجهد من شدة العطش ، ونسألك أن تنعم علينا وتطلق لنا الورود ، فقال لي : صلوات الله عليه مسترسلا : أنى يهزأ بي ويمجن معى ، (أي آية في كتاب الله تعالى فيها مائة وأربعون عينا) ؟ فقلت : أعرفها والله يا أمير المؤمنين ، فقال : (وأي سورة لا يستغنى بها القارئ في الصلاة وليس من القرآن ؟ وأي آية و زنها أربعة عشر دراهما إلا ثلث ؟ فقلت أعرفها والله (يا أمير المؤمنين فقال : صدقت فقلت له) : (يا أمير المؤمنين) ومن أين عرفت صدقه ، ولم تعرفه فقال : بشاشة المعرفة بها ظهرت في عينيه ثم قال صلوات الله عليه : هذا الحوض بين أيديكم ردوا كيف شئتم فصاح أبو القاسم الأعور من بعيد : الله الله يا أمير المؤمنين يتم عليك محالهم هؤلاء والله أشد كفرًا ونفاقًا ، وأكثرهم نصبا وانحرافًا عن أهل بيتك ، وهم عبيد يزيد فقلت له : يكذب والله علينا يا أمير المؤمنين ، (ولنا جماعة من أهل بيتك يشهدون لنا بغير ما يقول فقال : مثل من ؟ فقلت : مثل الشريف قيفيفات الذي كان ضامن القيان بدمشق ، // ومَثل الشريف بطرس المقف الهرات والشريف العصيدة الذي كان رسول القاضي ، والشريف زقازق الكادوم

1 – ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص 482 .

الذي يبيع اللحم في القبة ، والشريف الدويدة الرواس ، هؤلاء ذريتك ونسلك وهو يعرفون براءتنا من قول هذا الملعون ، فقال أمير المؤمنين) : ولا شك أنك من عبيد يزيد ، ...إن كان لكم ثقة) تشهد ببراءتكم فهاتوه ، وإلاَّ فلَا تقربوا هذا المكَانَ فيقول محمد بن الحنفية : اغتنمُوا أنفُسُكم قَبلَ المبَادرَةِ والإحرَاقِ ، فننصرفُ مِن بَينِ يديهِ ونحن لا نبصر الطَرِيقِ " [1] .

ومن خلال المثال الوارد يتبيَّن لنَا : 1- **التوكيد** في قول الكاتب :

- " إنا قوم من أهل العلم و القرآن يا أمير المؤمنيين ، وقد بلغ بنا الجهد من شدة العطش " .
- " بشاشة المعرفة بها ظهرت في عينيه " .
- " ثم قال هذا الحوض بين أيديكم ردوا كيف شئتم " .
- " فقلت له : يكذب والله علينا يا أمير المؤمنين ، (ولنا جماعة من أهل بيتك يشدون لنا بغير ما يقول " .
- " هؤلاء ذريتك ونسلك وهو يعرفون براءتنا من قول هذا الملعون" .
- " نحن لا نبصر الطريق " .

رَأى الوهراني فيمَا يَرى النَائِمُ في المنامِ أن القيامةَ قد قَامت ، وقد خَرجَ النَّاسُ من قبورهم وهو معهم للحسابِ ، والعقابِ ، وقد شهد أهوال ذلك اليوم العظيم ، واشتدَّ بهِ العطشٌ هو، ورفيقه ، فَتقدمَا إلى الحوضِ للارتواءِ ، فوجدَا على شَفيرِه أمير المؤمنين وحولهُ جماعة من الهاشميين ومعهم المقداد بن الأسود الكندي " و هو صحابي هاجر إلى الحبشة و اشترك في يوم بدر و في فتح مصر " ، فسألهم ما حاجتهم ؟ وما دليلُ صدقِ كَلامِهم ؟ فجَاءتِ الأمثلةُ السابقةُ لإجَابةُ على أسئلتهِ ، وتَأكِيد صِدقِ كَلامِهم ، فقد أخبروه بأنَّهم من أهلِ الكتابِ ، والعلمِ ، لكن أبو القاسم الأعور صاح وتدخل ، وكذّبهم ، واتَّهمهم بأنَّهم أشدُّ كفرًا من أهلِ بيتهِ ، فحدثَ جدالٌ بينَ الوهراني والأعور ،

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 44-46 .

وجاءَ الوهراني بحججٍ ليُأكِدَ صدقَ قوله " هؤلاء ذريتك ونسلكَ وهم يعرفون براءتنا من قول هذا الملعون" لكِن عَلَى الرُغمِ من ذلكَ لم يفلحوا في إثبات ذلك ، فأنصرفوا ، وهم لا يبصرون الطريق .

2- النهي : " و اعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر ، يجري على لفظ الأمر " [1] .

فقد ورد في قـــوله :

- " فصاح أبو القاسم الأعور من بعيد : الله الله يا أمير المؤمنين يتم عليك محالهم هؤلاء والله أشد كفرًا ونفاقًا ، وأكثرهم نصبا وانحرافًا عن أهلِ بيتكَ ، وهم عبيد يزيد " .
- " وإلا فَلا تَقربوا هذَا المكان " .

جاءهم أبو القاسم الأعور والذي تعرض للطّم ، ولم يفلح في ورود الحوض ليروي عطشه ، فصاح من بعيد واتّهمَ الوهراني ، وصديقه بالكفر ، والنفاق ، والنصّبِ والانحِرافِ ، بعد أن سمحَ لهم أمير المؤمنين بورودِ الحوضِ ، فقد عملَ الأعور على نهي أمير المؤمنين عن فعلِ ذلكَ ، والتشكيكِ في صِدقهم ، لذلك أمَرَهُم بإثباتِ عَكسَ ذلكَ ، وإلاَّ فلا يقرب ذلك المكان .

3- الاستفهام : " يعد الاستفهام من أنجح أنواع الأفعال اللغويّة حجاجا ، إذ أنَّ طرح السؤال يمكن أن يضخّمَ الاختلاف حولَ موضوعٍ ما إذا كانَ المخَاطبُ لا يشاطرُ المتكلمَ الإقرارَ بجوابٍ مَا ، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم "[2]. وقد ورد هذا الأسلوب في قــول الوهراني :

- " والتفيت إلينا فقال ما تريدون ؟ " .
- " (أي آية في كتاب الله تعالى فيها مائة وأربعون عينا) ؟ " .

1 - ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص 349.

2 - المرجع نفسه ، ص 483 .

- " (وأي سورة لا يستغنى بها القارئ في الصلاة وليس من القرآن ؟ وأي آية وزنها أربعة عشر دراهما إلا ثلث ؟ " .
- " (يا أمير المؤمنين) ومن أين عرفت صدقه " .
- " فقال : مثل من ؟ " .

جَاء الوهراني في منَامهِ بهذهِ الأسئلةِ على لِسَان أميرِ المؤمنين كي تَكونَ الإجابةُ عنهَا مفتاحًا لهم لورود الحَوضِ ، وارتواءِ عَطشِهم ، وليسَ الغَرضُ مِنها الإجابةُ المباشرة ، وإنَّما لتحذير القاريء ، والمتلقِي لمنامِه ، بأنَّ الآخِرة لا تُشترى بالحياةِ الدنيا ، ومَلذاّتها ، وأنمَّا الفَوزُ فيهَا يكونُ بإتَباعِ طريق الحقّ والتَمسكِ بالقرآنِ وإتباعِ نَهجهِ المنيرِ ، فالمنامُ الكبيرُ لا يخلو من الرسائل الدينية التي تُنِمُ عن ورعِ الوهراني ، وتشبُّعِهِ بالشريعةِ الإسلاميةِ والدِّينِ الحَنيف .

4- الطلب : " ونسألك أن تنعم علينا و تطلق لنا الورود " .

جاءَ الطلبُ هنا برفقٍ وذلك بأنَّه صادر من الأسفلِ نحو الأعلَى فقد طلبا الورهاني وصديقه من أمير المؤمنيين أنّ ينعم ويمنُّ عليهم بفضله ، ويأذَن لهم بورودِ الحوض كـي يرووا عطشهم .

5- الأمر :"يكاد يجمع العلماء الأوائل على أنَّ حدَّ الأمرِ : أنّه استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"[1] . ومن صورِ ورودِه في منامِ الوهراني قولـه :

- " إن كان لكم ثقة) تشهد ببراءتكم فهاتوه " .

يأمُر أمير المؤمنين الوهراني وصديقه ، أن يأتُوا بثقةٍ تَشهدُ ببراءتهم ، بعدَ أن جَاءوا بحجج للأسف شهدت ضِدَّهم " ...: ولا شك أنّك من عبيد يزيد ، (ألا ترى أنك شرعت تسبنا بطريق لطيف بإلحاق هؤلاء الأراذل بي ؟ ... إن كان لكم ثقة) تشهد ببراءتكم فهاتوه . والهدف من هذا الأمر

1 - ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص 341.

الذي جاء به الوهراني في معرض حديثه هنا هو النصح ، والوعظ لإقناع المتلقي بضرورة الاستزادة ليوم القيامة .

6- النفـــي :

- " أنى يهزأ بي و يمجن معى " .

ينفي أمير المؤمنين أن يعيبه أحدٌ ويُستهزأ بهِ في هذا اليوم ، وأن منَّ الله عليهِ ، وجعلهُ على شفيرِ الحوضِ ، و كأنّ الشمسَ تطلعُ من جَبهتهِ هو ومن حوله من جماعتهِ الهاشميين ، وهنا الوهراني ينفي الانتقاصَ ، وقلة الاحترامِ عن آل الرسول عليه الصلاة والسلام ، مثبتًا علوَّ قَدرِهم وشَأنهِم يومَ القيامةِ .

ممَّا سبق يتبيَّن انّ الوهراني قد وُفِقَ وبشكلٍ واسعٍ في تقديمِ حُجَجهِ وتقويةِ كلامهِ قصدَ توجيه المتلقي والتأثير فيه وتغييرِ وجهاتِ نظرهِ ، إنطلاقًا مما ساقه من أفعال كلامية كرستها استخداماته لأساليب التوكيد ، والنهي ، والإستفهام والطلب ، والأمر ، والنفي .

2-الآليـات الحجاجية البلاغيـة :

ينطوي أسلوب الوهراني في " المنام الكبير " على صيغ بلاغية زاخرة ، تخرج بالخطاب من صوره البلاغية العادية إلى الخطاب البلاغي الحجاجي ، ما يكسب النص التأييد ، و القبول لدى المتلقي بإقناعه عن طريق إشباع مشاعره ، وأفكاره بصور ، وأساليب بلاغية متعددة منها : التشبيه ، والاستعارة والكناية .

2-1- حجاجية البيان :

2-1-1- التشبيه :

التشبيهٌ هو البنيةٌ الأساسِ للاستعارة ، والتشبيه " هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما ، بواسطة الكاف ونحوها " [1] .وهو يقوم على أربعة أركان ؛ المشبه والمشبه به ويسميان طرفا التشبيه ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه .

تحدَّث الجرجاني عن مواقعِ التمثيلِ ؛ فجعلَ الحجاجَ أحدَ مواضيعِ الخطاب إلى جانبِ المدحِ والذم والافتخار ، والاعتذار ، والوعظ . فعن الوظيفةِ الحجاجيةِ للتمثيل يقول : " وإن كان حجاجا كان برهانها أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر " [2] وهي طريقة امتاز بها العرب الفصحاءُ في كلامِهم والسبَبُ كامن في تَأثيرِ التمثيلِ على النفوسِ ، لأنَها تتأثر وتأنسُ بما هو واضحُ ،وجلي وما هو محسوس وخصوصا إذا رُبِطت فكرةٌ مبهمةٌ بشيءٍ واضحٍ ومعروفٍ لديها ، ومن الصور التشبيهية الحجاجية الواردة في منام الوهراني الكبير قوله : " ثم تَرتفعُ الضوضَاءُ وإذا بموكبٍ عظيمٍ قد أقبلَ من المقَامِ المحمودِ كأنَّهم الشموسُ والأقمار ... فسألنا عنهم فقيل لنا : (هذا سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم) في أصحابه وأهل بيته " [3].

1- العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب الخديوية ، القاهرة ، ط 1 ، 1914 ، ص 263 .

2 - الجرجاني ، أسرار البلاغة قرأه و علق عليه السيد محمَّد رشيد رضَا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1988 ، ص 94.

3 - ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 47 .

اتكأ الوهراني على حجاجيةِ التشبيهِ لتصويرِ حسنِ ضياء سيد الخلق ، رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ اقبَلَ بنورهِ الذي يُضاهِي الشُموس والأقمَار في الحسن والجمالِ وهو في موكبٍ عظيمٍ رفقةَ أهلهِ وصحبهِ ، وهو يصوِّر مشهدَ قيامِ الساعةِ الذي رآه كَما رَأي النَائمُ في المنامِ ، وقد احسنَ الوهراني في تصويرِ هذا الجمالِ ما زاد في قوَّته الحجاجيةِ ، وترسيخِ تلكَ الحججِ في ذهن المتلقي ، لاسيما أنَّ الصُّورة قد ارتبطت بخير الأنامِ ، والصفوَّةِ المختارة .

و في موضع آخر يقول :

" فقلتُ : فما تَقولُ في وزيره عضد الدين ؟ فقالَ : جبلُ علمٍ راسخٍ وطود عقلٍ شامخٍ ، وسهم رأى صائبٍ ، ونجمُ عدلٍ ثاقبٍ ، نجلَ الملوكِ الأكاسرِ وابن التيجانِ الأساورةِ ، أكرمَ من الغيثِ الهامرِ ، وأشجعُ من الليثِ الخادمِ " [1] .

اعتمدَ الوهراني على حجاجيةِ التشبيهِ في هذا الشاهد ، حيث شبهَ الوزير عضد الدين بالجبلِ الراسخِ في علمه وطود عقل شامخ ، وبأنه نجم عدل ثاقب ، وفي فيض كرمه أكرم من الغيث الهامر ، ذو الحسب والنسب وسليل الملوك وأصحاب التجان وفي شجاعته فاق الليث الخادم وقد حذف أداة التشبيه ليجعل من كل هذه الصفات مطابقة للوزير عضد الدين ، وبذلك أعطى التشبيه لكلام الوهراني دفعة وقوة حجاجية لإقناع القارئ والتأثير فيه .

و في موضع آخر يقول :

" وصلَ كتابٌ مولاى الشيخ الأجَل الإمامُ الحافظ ، جمالُ الدِّينِ ركنُ الإسلامِ ...فكانَ ألذَّ من النارِ في عينِ المقرُورِ ، وأعذَبُ من الماءِ الباردِ في صدرِ المحرورِ .وتناولتُه فكَان في قلبهِ أحلَى منَ الدراهِم ، وأنفعُ لجراحِ البعدِ من المراهمِ " [2] .

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 15 .
2 - المصدر نفسه ، ص 17 .

وصف الوهراني في هذا المثال كيف وقع من نفسه وصول كتاب من الإمام جمَّال الديِّن ركن الإسلام ، فشبَّه ذلك ألذُّ من النارِ فِي عينِ المقرورِ وأعذَبُ من الماءِ البارِدِ في صدرِ المحرورِ ، وكان في قلبه أحلى من الدراهم ، وأنفعُ لجراحِ البعد من المراهم ، بعد أن اكتَوى بنارِ الغربةِ ، والحنين إلى وطنهِ ، فشحنَ خطابهُ بشحنة حجاجية ، بما تعتمده من إثارَةٍ وجدانيةٍ وانفعالاتٍ عاطفيةٍ ، وشعوريةٍ توجّه المتلقِي الوجهةَ التي يُريدُهَا .

و في مثال آخر يقول :

" قال : فمَا تقولُ في الفقيهِ ابن بقية ؟ قالَ : لن يَبقى من العلمِ بعدَ مَوتهِ بقيةٌ . وكأنَّه بدرٌ ثم كُسِفَ ، وطودُ علمٍ نُسفَ ، وبحرُ فقهٍ غاضَ ، ونهرُ أدبٍ فاضَ ، فسرَّ الأعداءَ بفقدِه ، وانتشرَ البِغاءُ من بعدِه " [1] .

في مثاله هذا يشبه الوهراني الفقيه " ابن بقية " في علمهِ بالبدرِ الذي يستضاءُ به في ظلماتِ الجهلِ ، وأنّ فقهَهُ وتدبُرِه فاق البحرَ اتساعًا ، وقد فاضَ أدبه ما ألجمَ أعدائه ، لكن بعد موتهِ ذهب العلم وساد الفسادُ ، وهنا ساعدت حجاجية التشبيه الوهراني على تأكيد موقفه من الفقيهِ " ابن بقية "، وترسيخ في المتلقي والتأثير فيه حيث يتيقن بأهميةِ العلمِ ، والعلماء في هذه الحياة .

بهذا كان حضور التشبيه في " المنام الكبير " واسعًا ، وذلك لما له من دورٍ حجاجي ، يزيد من قوة الحجّة ، ويعمل على توضيحها ، من جهة وعلى زيادة الطاقة الحجاجية الإقناعية لدى المتلقي من جهة أخرى .

2-1-2-الاستعارة :

يشيرُ أبو بكر العزاوي في بحثهِ إلى أنَّ الاستعارةَ الحجاجيةَ تدخلُ ضمنَ الوسائلِ اللغويةِ والتي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابهِ وهي أكثرُ انتشارًا ، لارتباطها بمقاطع المتكلمين وبسياقاتهم

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 220 .

التخاطبية والتواصلية [1] . ويرى طه عبد الرحمن " أنه لا حجاج بغير مجاز ، فإنه يرى أيضا أن أفضل أنواع العلاقات المجازيـة هي العلاقة الإستعارية "[2] . وهي أدل أنـواع المجاز على العلاقـة المجازية .

ومن صور حجاجية الاستعارة في منام الوهراني يقول :" فقالَ : تلكَ شجرةُ غرسهَا المرحومُ بيدهِ وربَّاها لولدِه وسقَاهَا بالأمانةِ ، وغذَّها بالديانَةِ ، فظهرَ ذلكَ في لُبِهَا وحَبِهَا ، ومنهُ يؤتـى أُكُلَهَا كل حين بإذنِ ربهَا " [3] .

شبه الوهراني أخلاق صاحب الديوان التي ورثها عن والده ، بالبذرة التي تزرع في الأرض ، ويتم سقايتها ورعايتها حتى تأتي ثمارها على سبيل الاستعارة المكنية ، حيث حذف المشبه به ، وهـو الزرع وجاء بأحد لوازمه (غرسها ، سقاها) ، فظهرت تلك الأخلاق في تصرُّفاتهِ وقراراتهِ فكانت طيبةً طيبة الزّارع ، والجاني ، وبذلك حاول الوهراني استمالة صاحب الدِّيوان من خلال حاجِّية الاستعارة التي جاء بها ، وكذا التأثير في المتلقي ، وحمله على تصديقها .

و في مثال آخر يقول :

" لما تحكمت يدُ الضياعِ في مساجد الضياعِ ، وأرتجَ باب العدلِ وغُلِقَ ، ونبذَ كتابُ الله وخلقَ ، فزعتِ المسَاجِدُ إلى جَامِع جلق ، وهو يومئذ أميرهَا ، وعليه مدار أمورها ، فلما (اجتمعوا على) بابه ودخلوا تحت قبته ومحرابه ، كتب له جامع النيرب قصة إليه ، وسألوا عرضها عليه ... [4] وينهون إلى جلسه السامى ما يقاسونه من جور العمال ، وتضييع الأعمال ، وأنكرهم المؤذن والإمام ، فلا تسمع لهم (حسيسًا ، ولا ترى فيهم أنيسًا) إلا أذان البوم وتسبيح الغيوم ، وقد ركعت حيطانها ، وسجدت سقوفها وأركانها ، (وانصرفتِ من الصلاةِ أربَابُها . وسكانُها تنوحُ عليهم الأجراسُ والنواقيسُ ، وتُرثـى لهم البيع والنواويس

1 – ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 108 .

2 – طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان ، ص 232.

3 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 16 .

4 – المصدر نفسه ، ص 61 .

(يُرثَى لَـــهُ الشَّامِتُ ممـَـا بهَ يَاويحَ من يَرثَى لــهُ الشَامِتُ) .

.... ثم رد عليهم السلام ، وأذِنَ لهم في الكلامِ ، فابتدأ جَامعُ المزة المقالَ ، وتقدمَ بين يدي الملكِ وقال : الحمد لله الذي قضَى علينا بالخرابِ ، وصَيرَ أموالنَا كالسرابِ ، وجَعلنَا مَأوى البُومِ والغُرابِ ، أحمدُ حمدَ من كانَ فقيرًا ثم استغنى ، وأدركَ بمالِ الوقوفِ ما تَمنى ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَريكَ لهَ ، شَهادةَ عالم عَاملٍ متحملٍ لثقلِ الأمانةِ حاملٍ " [1] .

في هذا الموضع تحدَّث الوهراني عن لسانِ بيوتِ الله ، وكيفَ أصبحَ حَالها ، وضيَّع الحكّام جدرانها وأموالها ، وأركانها ، وسلبوا أموال الوقف ، وصيَّروها بيوتًا للبومِ والغرابِ .

وقد اتكأ الوهراني هنا على حجاجية الاستعارة حيث ، شبَّه المساجدَ بالبشرَ على سبيل الاستعارة المكنية فحذف المشبه به وهو الإنسان والتي احتمت وهربت من الفساد الذي لحقها ، وترك أحد لوازمه (الكلام) إذ جعل لها لسانا تتحدث به وتخبر عمَّا آل إليه حَالها وحَال الدين معها ، حتى أصبحت الكنائس ، والمعابد تدقُّ ناقوس الحزن ، والآسى لحالها . وبذلك زاد من قوته الحجاجية والإقناعية وأثَّر في المتلقي أيَّما تأثير .

و في موضع آخر يقول :

" فقلت له : حدثني أنت عن سيرة الإمام ، في هذه الأيام . فإني ذاهب إلى قوم يعتقدون إمامته حقًا لازمًا ، وولايته فرضا جازما . يتقربون إلى الله بمحبته ، ويتوسلون إليه بحرمته . فقال : ما عسى أن أقول ، في ابن عم الرسول ، خليفة الله في بلاده ، ووصية على أولاده ، ومسيح زمانه ، مهدى عصره وأوانه . عزيمته أمضى من الحسام ، ويمينه أندى من الغمام ، ووجهه أبهى من البدر ليلة التمام " [2] .

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 63/62 .
2 – المصدر نفسه ، ص 07 .

وظَّف الوهراني الاستعارة في هذا المثال ، وهو يصف الإمام على لسان شيخه ، فجاء بمحاسن الرجل وقد شبَّههُ بالسيفِ الحادِ في عزّمهِ ، وجدّه ، ويده تفيض بالكرم ، والجود ،كالغمام الذي يفيض بخيره ومطره على الأرض القاحلة فتأتي أكلها ، وتلك محاسن اجتمعت لابن عم الرَّسول صلى الله عليه وسلم ، فما كان من قومهِ إلاَّ الولايــة ، والطاعة ، والتقرب إلى الله بمحبَّته ، وبذلك عملت الاستعارة على تقوية الحجج التي جاء بها الكاتب فمنحت النص طاقة بلاغية ، ودلالية حجاجية أعطت للمعنى قوة تأثيرية إقناعية .

لهذا كان للاستعارة وقع على الأسماع ، والأنفس لِمَا تتضمنه من قوة وطاقة بلاغية حجاجية عملت على منح المعنى قوة تأثيرية إقناعية .

2-1-3- الكناية :

تختلف الكناية عن الاستعارة والتشبيه في إمكانية اجتماع الحقيقة والمجاز فيها ، بحيث يكون أمام بنية لها معنيين ؛ معنى حقيقي بحكم المواضعة يظهر في سطح الخطاب ، ومعنى مجازي بحكم اللزوم كامن في البنية العميقة للخطاب . ويتوصل إليه بعمل ذهني يكون قادرا على الربط بين المعنى السطحي والمعنى العميق . ولذلك عرفت بـ " الكناية لفظ أريـد به لازم معناه مع جواز إرادتـه معه ، فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمة "[1] .

يعرفها الجرجاني بقوله : " ومن المركوز في الطبع ، أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق له ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف "[2] . ومن صور حجاجية الكناية قول الوهراني في كتاب إلى الأمير نجم

1 – القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة، شر عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، لبنان ، ط01 ، 1904 ، ص 337 .
2- الجرجاني أسرار البلاغة ، ص 139 .

الدين بن مصال : " وفي مرابط صدره من خيول الشوق جواد لو ركبه ضحوة من باب النصر لقاتل معه الحلبيين قبل العصر " [1] .

تحدث الوهراني في كتابه هذا ، على سبيل الكناية عن شوقه الشديد للأمير "نجم الدين" الذي يضاهي قوة جواد لو ركبه ضحوة من باب النصر ، لقاتلَ ، وجهاد معه الحلبيين قبل العصرِ ، وقد عملت حجاجية الكناية على تأكيد وترسيخ حجَّته فحمل تلك المشاعر التي تختلج صدره نحو الأمير وحمل المتلقي على تصديقها ، والتأثر بها ، وبذلك منحت الكناية طاقة حجاجية لكلامه .

و في موضع آخر يقول :

" فما يهون عليه أن يعلفَ الدوابٌ إلاَّ بعيونِ الآدابِ والفقهِ اللُبابِ والسؤالِ والجوابِ وما عند الله من حُسنِ الثوابِ . ومعلومٌ يا سيدي أن البهَائِمَ لا توصفُ بالحَلُومِ ، ولا تَعيشُ بسماعِ العلوم ، ولا تَطربُ إلى شعرِ أبي تمام ، ولا تَعرفُ الحارث بن همام ، ولا سيمَا البغالَ التي تَشتغلٌ في جميعِ الأشغالَ " [2] .

جاء الوهراني بالكناية هنا للحديث عن الطبقة المهمشةِ من المجتمع ، التي تعيش في شقاء وراء قوت يومها حالها حال البغال ، والبهائم ، وأكبر مطلبها ، ومبلغ همِّها الحصول على لقمة تسُدُّ جوعها وليس طلب العلمِ ، ومجالسة العلماء ، وارتقاء المناصب ، وكسب الألقاب ، فعِلمهُم وآدابهم لن يَسُدَّ رمقهم ويُشبعَ بُطونهم . فبتوظيفه للكناية هنا عمل على تأكيد موقفه ، وتحقيق حجته التي حاول من خلالها نقل حال تلك الطبقة الضعيفة من المجتمع ، مما يحدث تأثيرًا قويا في موقف المتلقي ونفسيته.

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 75 .
2 - المصدر نفسه ، ص 92 .

و في موضع آخر يقول :

" يظل نهاره غرضًا للهام وللجيش الهام ، وإذا غفا سلت عليه سيوفها الأحلام فضج من عمل البيكار وانقطع إلى الوساوس والأفكار :

يَلقَى الرِمَاحَ بِصدرِهِ و بِنَحرِهِ و يُقيمُ هَامَتهُ مَقامَ الـمُغَفرِ [1] " .

أورد الوهراني الكناية في هذا المثال ، ليتحدث عن شجاعة ، وبسالة الأمير الذي يظل طيلة النهار على استعداد يترقَّب العدو ، وهو إلهامٌ لجيشه ، وسندٌا لهُ ، لا يغفلُ ، ولا ينام ، يخاطر ، ويلقى الرماح بصدره بفضل شجاعته ، وبأسه ، فعملت الكنايةُ هنا على بلاغةِ حججهِ وتأكيدها ، والتأثير في متلقيها ، وحملهم على تصديقها .

2-2-حجاجية البديع :

يلعب البديع دورا حجاجيا مهما ، فكونه يعمل على زخرفة و تزيين الخطاب إلاّ أنّ الهدف الخفي والأهم هو الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه في التأثير ، فأساليب البديع من طباق و تجنيس ، وسجع لا ترد كمحسن بديعي فقط ، وإنما الأصل فيها الإبلاغ و التبليغ . ومن حجاجية هذه الأساليب في منام الوهراني :

2-2-1- الطباق :

يعد الطباق آلية ووسيلة حجاجية فهو : " الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام ، وهو نوعان طباق الإيجاب وهو ما يختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا ، وطباق السلب ما اختلف فيه الضدان إيجابًا "[2] .

ومن صوره قول الكاتب : " إليك أيُّها القاضي الأجم فخرٌ القيادةِ وتاجُهَا ، قَطبُ المعاصِي وسِراجُها ، عز العَلوقِ وعمادها ، ركن اللياطة وزنادُها ، جمال الفسقة وعينُها ، شَرفٌ الزِنادة

1 - ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 76 .

2 - عباس حشاني ، خطاب الحجاج و التداولية ، ص 297 .

وزينها ، أبو الثنا محمود بن يحي بن أفلح اللخمي أدام الله لك السّرور ، ومتَّعك بالغفلةِ والغرور ، ولازالت همتك مصروفةً للمحاب ، ومنزلك معمورًا بالعلوقِ وعارضُكَ مصفرًا بالخلوقِ ، تَقضِي (بالعقوق ، وتنهى عن الحقوقِ) ، أبدًا إلى يومِ ينفخُ في البوقِ .

و لما انتهى إلينا أيها القاضى الأجم ، أطال الله قرونك ، وأدام في الخمور رهونك ، ما أنت عليه من سوء الخلائق ، وذمم الطرايق ، ... ، وأنَّكَ من أكذبِ النّاسِ لهجةً ، وأخبثُ العالم مُهجة " [1].

وقد ورد الطباق في هذا الشاهد بين :

فخر القيادة و تاجها ≠ قطب المعاصي و سراجها

جمال الفسقة و عينها ≠ شرف الزينادة و زينها .

ادام الله لك السرور ≠ و متعك بالغفلة و السرور .

تقضي بالعقوق ≠ و تنهى عن الحقوق .

إستند الوهراني في هذا المثال على الآلية الحجاجية (الطباق) حيث وصف القاضي (أبي الثنا محمود بن يحي بن أفلح اللخمي) بأنّعتِ الأوصاف والتي تتعَارضُ مع مواصفات القاضي العادل ، الحريص على حقوق الناس ، والمدافع عنها ، وإن كان ظاهر الكلام يُبينُ طاعةَ الوهراني ودُعاءه للقاضي أبي الثنا إلاّ أنّ باطنه يحملُ نقدًا وسخريةً ، إذ الضّدُ بالضّدِ يعلمُ فَحين طابق بين ما هو عليه القاضي من صفات سيئة وبين ما يجب أن يكون عليه من صفات تمكّنَ من تقوية حجّته وتوضيح الصورة للمتلقي ، وإقناعه بموقفه ، وآراءه .

1 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، ص 177 .

2-2-2- التجنيس :

أحد الآليات البلاغية التي تزيد في جمالية الخطاب من ناحية , وتفيد التأثير من ناحية أخرى ، حتى يختار المخاطب الموضع المناسب لاستعمال التجنيس لاستمالة نفس المخاطب ، حتى يتغلغل المعنى في ذاته دون شعور منه ، ومن ثم يحصل الإقناع "[1] .

ومن حجاجيته في مدوّنة الوهراني : " لا والله ما رجل من سادات بني سارايا ، شرَّده عن وطنه الغارات و السرايا ، كان قد ربي في السروج ، و نشأ بين الجداول والمروج ، يتردد من حصن اللبوة ، إلى بساتين الربوة يرتاض في عين سردا ، إلى بردى ، ويصطبح في سوق آبل ، ويغتبق في كروم المزابل ، وبفيل في عين جور ، ويصطاد في الساجور " [2] .

وقد ورد التجنيس في مشهد السابق بين المفردات الآتية :

(السروج / المروج) ، (اللبوة / الربوة) ، (سردا / بردى) ، (آبل / المزابل) ، (جور / الساجور)

بتوظيف الوهراني لهذه التجنيسات أضفى على نصِّه جرسًا موسيقيًا تطربُ له الأذنُ زيادة على الجمالية الفنية التي طبعته ، وعملت على استمالة القارئ ، الذي جعله الوهراني في المنام الكبير جزء من العملية الحجاجية التي نسج خطابه من خلالها ، فقد نقل شوقه ، وحنينه إلى سيّده بعد أن شرّدته الأقدار عن وطنه وقد ربّ في الجداول والمروج ، ووصف كيف جارت عليه الأقدار وتبدل حاله من حال إلى حال ، فعمل الجناس على تقوية حججه وتثبيت تلك الحجج في ذهن المتلقي والتأثير فيه .

2-2-3- السجع : يعتبر السجع من جماليات البلاغة والمحسنات البديعية اللفظية التي تضفي نوعًا من التخفيف على الحجاج ، فتتواتر الواحدة تلوى الأخرى ، لتزيد المعنى قوة ،وثباتًا وجمالا

1 - ينظر ، السيوطي جلال الدين ، شرح عقود الجمال في المعاني و البيان ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 325.

2 - ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 19/18.

أمام المتلقي وقد عرف السجع بأنَّه : " السجع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، وأفضله ما تساوت فقره [1] " .

ومن حجاجية السجع ما ورد في قول الوهراني :" دخلت مدينة صقلية في الأيام المتوالية ، فرأيتها محافل الأوصاف على طبق الإنصاف فعشقها شيطاني فأقمتها مقام أوطاني ، فحضرت يومًا في بعض بساتينها مع طائفة من أهل دينها وفيهم أبو الوليد القرطبي ؛ سلطان الكلام يأمره فيوالفه ، وينهاه فلا يخالفه ، وجرى بينهم حديث أهل البلد ومن فيها من الأعيان والكلد . فقالوا //: يا أبا الوليد أنت حَجَر محكنا ، وبوتقت سبكنا ، وها نحن (سائلون ليذهب) عنا دياجى الغيهب ففضل من يستحق وعيب ، (ليميز الله الخبيث) من الطيب ، فقال : أنا أوضح إشكالكم ، (فاسألوا عما بدا لكم) ، فقلنا : له ما تقول في القاضى ابن رجاء ؟ قال مصباح الدجى ، وشيخ علم وحجى ، (وهو بيت القضا ، وكلمةُ حكم وعدل ورضا) ، نزَّه نفسه عن الرشا والولائم فلا تأخذه في الله لومة لائم ، غير أنه عظيم الشقشقة كثير البقبقة بسيفه على الخصمين ، ولو أنهما ملكين ، ويضيع مواقيت الصلاة ، ويمنع يواقيت الصلات ، لا يرثي للغريب ولا يتوجع ولا يؤسى ولا يسأل " [2] .

جاء المنام الكبير للوهراني مسجوعًا ، ذو نغم وإيقاع تستسيغه الأذن ، وتميل له النفس ، ففي هذا المثال نجد السجع وارد بين المفردات الآتية :

(الأوصاف / الإنصاف) ، (شيطاني / اوطاني) ، (بساتينها / دينها) ،(يوالفه / يخاله) ، (البلد / الكلد) ، (محكنا / سبكنا) ، (رجاء/ دجى / حجى) ، (قضا / رضا) ، (الشقشقة / البقبقة) .

تحدث الوهراني في هذا المثال عن الأيام الهانئة لصقلية ، أين كانت الجنان ، وافرة الظلال ، ومجالس العلم عامرة بأهلها ، وبرجال الدِّين ، ومن بينهم أبو الوليد القُرطُبي سلطان الكلام ، والذي إذا سُئل أجاب ، وهو دليل على فيضِ علمهِ وحِكمتِه . فقد سأله الحضور عن القاضي ابن الرجاء ، فراح يتكلم عن علمه ، وعدله ، وصفاته ، وخِصَاله الحسنة غير أنّه مقصّرٌ في الصلاةِ ولا

1 – علي الجارم و مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة المعاني و البيان و البديع ، دار المعارف، القاهرة ، 1999، ص 272.

2 – ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، ص 219 .

يحبُ الزيارات والصِّلات ، ولا يتقرّبُ للغريبِ لا بالرثاءِ ، ولا بالأسى ، وقد ساعد السجع في إستمالة القارئ ولفت إنتباهه ، وأعطى الوهراني قوَّة لحججه التي أوردهَا ، إضافة إلى ناحية الجمالية التي أضفاها هذا الأسلوب على الخطاب .

نخلص مما تمَّ عرضه بأنّ الحجاج ملازم للبلاغة في بيانها و بديعها ، فلا غنى للبلاغة عن الحجاج و لا غنى للحجاج عن البيان و البديع ، فتلك المحسنات البديعية ، من طباق و تجنيس ، و سجع تعمل على تدعيم الحجاج من الناحية الجمالية ، و بتظافر هذه الأساليب مع الحجاج دعوة لنجاحه و تحقيق مقصد المتكلم و إقناع المتلقي و التأثير فيه .

خـــاتمة

و ممَّا تم عرضه خلال بحثنا هذا الموسوم بـ :" الحجاج و استرتجياته في المنام الكبير " للوهراني خلصنا للنتائج الآتيــة :

- اعتمد الوهراني في " المنام الكبير " على استراتجية حجاجية تنمُّ عن تمكنه ، وبراعته سواءًا كانت من ناحية اللغة ، أم البيان ، أم البديع ، ما مكّنه من استمالة القارئ ، والتأثير فيه ، و قد اعتمد في استراتجيته على مايلي :
- عمد إلى أسلوب السخرية وجعل منه مطية للهروب من الرقابة من جهة فكانت السخرية أداة ناقدة للوضعية الاجتماعية والسياسية والدينية التي آلت إليها الديار العربية الإسلامية آنذاك من انهيار وتراجع وفساد من جهة أخرى .
- تعدَّدت الآليات اللغوية في المنام من تكرار ، وروابط وعوامل حجاجية إضافة للأفعال الكلامية والتي عملت على انسجام النص وتوجيهه توجيهًا حجاجيًا ، قصد التأثير في القارئ ، وتأكيد المعنى ، وترسيخه لديه .
- تنوّع الآليات ، والأشكال الحجاجية في المنام الكبير ، وذلك بتوظيف الوهراني للتشبيه والاستعارة والكناية مم يدل على معرفته بالدور المهم الذي تأديه في إعطاء الحجج قوة تأثيرية في النفوس ، وما لها من قدرة على تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي ، فيتفاعل معها ، ويستجيب لها .
- توظيف الوهراني للمحسنات البديعية من طباق ، تجنيس ، سجع بشكل واسع في المنام ما يدلُّ على إدراكه بقدرتها في تفعيل عملية الإقناع ، وزيادة درجة الإذعان لدى القارئ .
- كان المنام الكبير أداة تصوير حملت جميع جوانب الحياة فخرجت بالنص من أدبيته إلى اعتباره مدونة تاريخية يمكن التأريخ بها والاعتماد عليها .

ومما سبق نخلص إلى القول أن هذه الأساليب والآليات الحجاجية التي نسج عليها الوهراني " المنام الكبير" قد لَعِبت دورًا كبيرًا من الناحيةِ الجماليةِ والإقناعية التأثيرية ، وذلك لما تحمله من طاقة حجاجية عالية .

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أنَّ البحث لا يخلو من نقائص وعثرات نأمل أن تسدَّ ثغراتها أقلام الباحثين سعيًا إلى تعميق دراسة التراث ، ونفض الغبار عنه ، فإن أصبنا فيه فبفضل

الله ، و إن أخطأنا فمن أنفسنا ، وآخر دعونا أن الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه .

قائمة المصادر

و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

قائمة المصادر و المراجع :

1- ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني ، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، تح : إبراهيم شعلان و محمد نغش ، منشورات الجمل ، ألمانيا ، ط 1 ، 1998 .

2- أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي الشريف – دراسة تداولية – ، دار المتوسيطية للنشر ، تونس ، 2016 .

3- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2006 .

4- أبو الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح : عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط 3 ، 2001 .

5- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح وشرح عبد السلام محمد هارون ،ط 7 ، 1998 .

6- الجرجاني ، التعريفات ، وضع حواشيه وفهارسه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 1، 2000 .

7- الجرجاني ، أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه السيد محمَّد رشيد رضَا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1988 .

8- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 .

9- الخليل الفراهيدي الأزدي ، معجم العين ، تحقيق مهي المخزومي و إبراهيم السامراني ، دار الرشيد ، (د ، ك) .

10- السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1987.

11- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأسلوبه ، عالم الكتب ، الأردن ، ط2، 2011.

12- صابر الحباشة ، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، 2008 .

13- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2007 .

14- طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1998 .

15- عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2012 .

16- عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط2، 2007 .

17- عبد الله صولة ، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات ، ميسكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس ط 1 ، 2001 .

18- عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية ، قراءة في نتاج ابن باديس الأدبي ، عالم الكتاب الحديث الأردن ، 2003 .

19- علي شعبان ، الحجا والحقيقة وآفاق التأويل ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان ، 2009 .

20- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط1 ، 2004 .

21- عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2013 .

22- فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر ، مدخل إلى علم لغة النص ، تر : سعيد حسن بحيرى ، ط 1 ، 2004.

23- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة إشراف محمد العيد العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 8 ، 2005 .

24- قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2012 .

25- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر – ، دار الكتاب الجديدة ، لبنان، ط1 ، 2008 .

26- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ، ط 1 ، 1990.

27- محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، عني بترتيبه : محمود خاطر بيك ، دار الفكر العربي ، ط ، 1981 .

28- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط04 ، 2004 .

29- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار النشر للثقافة ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2005 .

30- محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس

31- محمد علي التهناوي ، كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم ، تحيق : رفيق العجم وعلي دحروج ،

32- محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتدادها ، افريقيا الشرق ، المغرب ، 1999.

33- محمد العيد : النص الحجاجي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2002 .

34- محمد عبد الباسط عيد ، في حجاج النص الشعري ، دار إفريقا الشرق للنشر ، المغرب ، 2013 .

35- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى إنسجام النص ، المركز الثقافي العربي للنشر ، المغرب ، ط 3 ، 2012 .

36- مثني كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، تنظير وتطبيق على السور المكية ، منشورات ضفاف ، بيروت ، 2015 .

37- نعمان عبد الحميد بوقرة ، الخطاب والنظرية والإجراء ، دار جامعة الملك سعود للنشر ، المملكة العربية السعودية .

38- الهيثم الأيوبي وآخرون : الموسوعة العسكرية ، الجزء الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981 .

39- أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1987 .

المقـالات :

40- أبو بكر العزاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي ، مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه لحمو النقاري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب ، ط 1 ، 2006 .

41- حمادي صمود ، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، من كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، المطبعة الرسمية تونس .

42- جميل حمداوي ، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة (www.alukah.net).

43- شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب جامعة منوبة ، تونس .

44- عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة –" ضمن كتاب أم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ، تونس .

45- هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، مقال في كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب جامعة منوبة ، تونس .

المجلات و الدوريات :

46- حامد ناصر الظالمي وعايدة حنون ، نشأة الحجاج ، مجلة آداب البصرة ، مصر ، 2015 .

47- حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ط1، 2010 .

48- رشيد الراضي ، الحجاجيات اللسانية والمنهجية والبنوية ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته .

49- رشيد الراضي ، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبير وديكرو ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد 34، العدد 1 ، سبتمبر 2005 .

50- محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، العدد 60 ، صيف 2002 .

51- محمد الولي ، مدخل إلى الحجاج ... أفلاطون وأرسطو وشاييم بيرمان ، مجلة الفكر ، ع 2 ، 2011 .

ملحق

التعريف بالوهراني :

محمد بن محرز بن محمد الوهراني ركن الدين أبو عبد الله ، عاش في القرن السادس الهجري ، عاش تحت سلطة الدولة المرابطية ، وشهد سقوط هذه الدولة واستيلاء الموحدين على عرشها .

كان أديب صناعة الإنشاء ، كان بارعًا في الهزل و السخرية ، نشأ بوهران و رحل إلى المشرق فمر بصقلية دخل دمشق في عهد نور الدين محمود بن زنكي ثمَّ زار بغداد و عاد إلى دمشق فتولى خطابة جامع داريا من قراها .

زار القاهرة في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي فطمح الوهراني إلى الالتحاق بديوان الإنشاء ، والذي كان يحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية في العصر الأيوبي بعد ديوان الحبس ، وكان القاضي الفاضل على رأسه ، لكنه لم يظفر بذلك بسبب كثرة منافسيه . ما دفعه للمغادرة و التوجه إلى دمشق ، ليستقر بقرية داريّا أين عيّن خطيبا في مسجدها ضمانا لمورد عيشه من جهة وتجنباً لسلاطة لسانه و سخريته اللاذعة من جهة أخرى حتى توفي فيها سنة 575 هـ [1]. وصفه الذهبي بأنّه " صاحب دعابة و مزاح " ، و قال الصفدي : " ما سلم من شرِّ لسانه أحدٌ ممن عاصره "، له " جليس كلّ ظريف " .

توجد مخطوطة منه تحمل رقم 05 بجامعة برنستر بالولايات المتحدة الأمريكية ، جمع فيه الكثير من رسائله و فصوله الهزلية . و" المنامات " وقد شهر منها منامه الكبير . قال إبن خلكان " لو لم يكن له فيها إلاَّ المنام الكبير لكفاه " أمَّا الصفدي فقال أنَّه "سلك فيه مسلك أبي العلاء في رسالة الغفران ، ولكنّه ألطف مقصدًا وأعذب عبارة "[2] .

1- ابن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح احسان عباس ، مجلد 01 ، 1978 ، ص 4 ، 19 .
2- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 ، ص 350.

تعريف المنام :

هو عبارة عن فنٍّ أنتجهُ ابن محرز الوهراني ، عبارة عن نصّ نثري سردي ، تناول عدّة مواضيع مختلفة وأكثر ما يميزه هو تركيبه العجائبي ، فالمنام هو عبارة عن أوهام تنم عن حديث النفس و هو صورة تعكس الواقع التعيس وعدم الإنصاف الذي تعرض له الوهراني خلال حياته وبحثه عن المكانة التي ترقى بمكانته المعرفية والأدبية ، ومن هذا التعريف نذكر أنَّ المنام هو " نص خارق أو عجائبي في الأصل وليس في الإبداع ، وذلك أنَّ الحلم فيه عجائبية في واقعها ، ليست عجائبية مخترقة لأجل الإبداع "[1] .

و منه نستنتج أنَّ الوهراني وصف المنام بنص خارق بمعنى يتجاوز الواقع الإجتماعي وأنَّ الحلم له علاقة وطيدة بالواقع الذي نعيش فيه .

مضمون المنام الكبير :

خلف ابن محرز الوهراني منامات ومقامات ورسائل جمعها وحققها كلها ووضعها تحت عنوان " منامات الوهراني و مقاماته ورسائله " كل من الأستاذين إبراهيم شعلان ومحمد نغش مع مراجعة لعبد العزيز الأهواني العام 1968 ، وقد اعتمد المحققان في إصدار آثار الوهراني على خمس نسخ .

المنام الكبير منثور في أغلبه ، تتخله بعض الأبيات الشعرية من نضم الوهراني حينًا و لغيرة حينًا آخر ، فأما المنامات فثلاثة ينتقل من خلالها الوهراني بخياله إلى العالم الأخروي تارة و عالم الجن و الشياطين تارة أخرى ، و أهم هذه المنامات و أطولها " المنام الكبير " أدى بالوهراني إلى تخيل أنّه بعث إلى المحشر وهناك صادف في طريقه العلماء والوزراء والشعراء والمتصوفين وغيرهم ، و عنه يقو لابن خلكان : " و لم يكن له فيها إلاّ المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولولا

1- وداد مكاوي حمود ، عجائبية الرؤيا عن يوسف عليه السلام ،جامعة بابل ن مجلد 2 ، ع 2 ، العراق ، 2012 ، ص 369 .

طوله لذكرته " وصف المخطوطات نذكر من بينهم مخطوط استنبول الذي رمز له برمز " س " و كذلك مخطوط القاهرة و رمز له برمز"ق" .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة : ..... أ-ج

الفصل الأول : في مفهوم الحجاج وإستراتجياته 6-46

1-مفهوم الحجاج :..... 6-13

1-أ-الحجاج لغة..... 6-8

1-ب- الحجاج اصطلاحا 8-13

2- الحجاج عند الغرب القدامى :.....13-19

2-أ- الحجاج عند السفسطائيين 14-15

2-ب- الحجاج عند أفلاطون 15-17

2-ج- الحجاج عند أرسطو : 17-19

3- الحجاج عند العرب القدامى :.....19-25

3-أ- الحجاج عند الجاحظ 20-23

3-ب- الحجاج عند السكاكي 23-24

3- ج- الحجاج عند علماء أأصول الكلام 25

4- الحجاج عند الغرب المحدثين : 26-30

4-أ- الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه 26-28

4-ب- الحجاج عند انسكومبر و ديكرو. 28-30

5- الحجاج عند العرب المحدثين : 30-34

5-أ- الحجاج عند طه عبد الرحمان :.....30-32

5-ب- الحجاج عند حمادي صمود : 32-34

6- مفهوم الإستراتجية الحجاجية :.....34-46

6-أ- مفهوم الاستراتجية 34-38

6-ب- الاستراتجيات الحجاجية 38-40

6-ج- نظرية السلالم الحجاجية 40-41

6-د- مفهوم السلم الحجاجي 41-42

6-هـ- قوانين السلم الحجاجي 42-43

6-و- أهمية نظرية السلالم الحجاجية ..**Error! Bookmark not defined**.43-44

6-ز- الروابط و العوامل الحجاجية:.....44-46

الفصل الثاني : آليات الحجاج في المنام الكبير دراسة تداولية 48-80

1-الآليات الحجاجية اللغوية : 48-

1-1-الروابط و العوامل الحجاجية : 49-57

أ-الروابط الحجاجية : 49-57

أ-1-الرابط الحجاجي (الواو) 49-51

أ-2-الرابط الحجاجي (الفاء).....52-54

أ-3- الرابط الحجاجي (حتى).....54-56

أ-4-الرابط الحجاجي (بل) 56-57

ب- العوامل الحجاجية :.....57-58

ب-1- العامل الحجاجي (لا...إلاَّ...).....57-59

ب-2- العامل الحجاجي (إنَّما) 60

2-1- التكرار:.....63-61

3-أفعال الكلام :.....68-64

- التوكيد :.....64-63

- النهي:.....64

- الإستفهام :.....65-64

-الطلب :.....65

-الأمر:.....66-65

-النفي :.....66

2- الآليات الحجاجية البلاغية :.....76-69

2-1-حجاجية البيان :.....76-69

2-1-1-التشبيه 71-69

2-1-2-الاستعارة 74-71

2-1-3-الكناية 76-74

2-2-حجاجية البديع :.....80-76

2-2-1-الطباق 77-76

2-2-2-التجنيس 78

2-2-3-السجع 78-80

- خاتمة :.....81-83

- قائمة المصادر والمراجع:.....84-89

- ملحق :.....90-93

- فهرس الموضوعات :.....95-98

ملخص المذكرة :

جاءت الدراسة الموسومة بـ " الحجاج و إستراتجياته في المنام الكبير للوهراني –دراسة تداولية– " لمحاولة البحث في الحجاج عند الغرب و العرب قديمًا و حديثًا ، و قد خلُصت أنَّ غرضَ الحجاج هو التأثير و الإقناع ، كما سعت لتبيان كيف بنى الوهراني إستراتجياته الحجاجية في " المنام الكبير" على الآليات المتنوعة (اللغوية ، البلاغية و التداولية) من أجل إقناع المتلقي و التأثير فيه ، فكانت هذه الاستراتجية مبنية على الروابط و العوامل الحجاجية ، التي كان لها الدور الكبير في سبك النص إضافة إلى آلية التكرار ، و كذا الأفعال الكلامية التي وظفها بذكاءٍ ما ساعده على شحن نصّه بقوة حجاجية إقناعية عملت على استمالة القاريء و حمله على الاقتناع برأيه و بحججه .

الكلمات المفتاحية : الحِجاَج ، المنامُ الكبير ، الوهراني ، الاستراتجيات .